الفصل الرابع

حركة الشيخ عبيد الله النهري

(1880 ـ 1883)

دراسة في العوامل الإقليمية والدولية المؤثرة فيها

تعدّ حركة الشيخ عبيد الله شيخ طه النهري النقشبندي نقطة مضيئة في تاريخ الكرد وكورداية تي. فهي من جانب نقطة تواصل مع حركة مير محمد السوراني في رواندوز، وحركة بدرخان، ويزدان شير، يكونها رد فعل لسياسة الإصلاحات والتنظيمات العثمانية التي أدت إلى مركزية السلطة وتتريكها، والقضاء على السلطة الكردية المحلية ممثلة بالإمارات. ومن جانب آخر يمكن عد حركة الشيخ عبيد الله النهري حلقة من حلقات الجهاد التي قام بها شيوخ الطرق الصوفية وأتباعها، إبان الهجمة الأوروبية في القرن التاسع عشر على العالم الإسلامي، وهي على شاكلة حركة الشيخ عبد القادر الجزائري في المغرب، وحركة الجهاد في قفقاسيا بقيادة الشيخ شامل، وحركة الشيخ عثمان دان فيدو في نيجيريا.

لم تستطع حركة الشيخ عبيد الله، مثل باقي الحركات الكردية الجهادية الصوفية الأخرى، أن تحقق أهدافها، على الرغم من أنها كانت تحوز تأييداً شعبياً ساحقاً للمسلمين الكرد، لأنها اصطدمت بالمصالح الاستراتيجية للقوى الأوروبية في الدولة العثمانية والقاجارية الإيرانية. وكانت هناك أيضا ظروف موضوعية وذاتية ساهمت في إخفاق الحركة.

إن هذا الفصل هو دراسة في أهداف الحركة (كما وردت في الوثائق البريطانية والعثمانية) والعوامل الإقليمية والدولية المؤثرة فيها.

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر نهاية الإمارات الكردية التي كانت قائمة طيلة الحكم العثماني، والحكم الصفوي في إيران. علما أن الإمارة البابانية والسورانية والبهدينانية كانت تتقاسم كردستان الجنوبية (كردستان العراق). وإمارة أردلان وبرادوست في كردستان الشرقية (كردستان إيران)، وإمارة بوتان وبدليس وعدة إمارات صغيرة أخرى كانت تحكم كردستان الشمالية (كردستان تركيا).

منيت الدولة العثمانية بهزائم عسكرية عدة في بداية القرن الثامن العشر على يد القوى الأوروبية التي كانت تعيش فترة إصلاحات في نظمها الإدارية والفكرية والعسكرية. يقول المفكر وعالم الاجتماع المسلم ابن خلدون: من الطبيعي أن يحاول المنهزم أن يقلّد المنتصر. لذلك دعا دعاة الإصلاح، في الدولة العثمانية، إلى تقليد الدول القومية الأوروبية، في نظمها العسكرية والإدارية التي كانت آنذاك مفرطة في المركزية. لهذا السبب حاول مستشارو السلطان سليم الثاني، ثم محمود الثاني (1808 ـ 1839)، وبعده رجال التنظيمات في الدولة العثمانية التخلي عن النظام الإداري العثماني (إيالات) المتميز باللامركزية، وتحويل الدولة العثمانية المبنية على التعددية الإثنية واللامركزية إلى دولة قومية على الطراز الغربي، فظهرت أولاً ما عرف بفكرة «الوطنية العثمانية»، ثم تحولت هذه الفكرة على يد جماعة الاتحاد والترقي (1908 ـ 1918م) إلى القومية الطورانية[1].

كان من نتائج سياسة الإصلاحات والتنظيمات القضاء على مجموعة من الإمارات، في أقاليم عديدة من الدولة العثمانية فتم القضاء مثلاً على الإمارات المستقلة التي كانت تحكم ألبانيا وأناضول لمئات السنين حكماً ذاتياً، والمعروفة

(1) لمزيد من التفاصيل حول تأثير الغرب في الإصلاحات والتنظيمات داخل الدولة العثمانية، أنظر الفصل الثالث والرابع من كتاب: Lewis Bernard. *The Emergence of Modern Turkey*, (London: Oxford university press 1961). pp. 23-7.

بـ(Dere Bey) وعلى دولة المماليك في العراق، والإمارة الجليلية في الموصل، وإمارة المنتفق في جنوب العراق، ودولة المماليك في مصر وسورية، والإمارة السورانية والعباسية و (بهدينانية) وإمارة بوتان والبابان في كردستان. قام محمد رشيد باشا الشركسي، الصدر الأعظم السابق في الدولة العثمانية، و والي كردستان محمد انجة بيرق دار بمهمة قمع الإمارات الكردية وقام القناصل البريطانية والروسية في بغداد واستنبول والمدن الكردية بتقديم المساندة القوية للدولة العثمانية، لتحقيق هذا المسعى[2].

ففي غياب القيادة الكردية التقليدية المتمثلة بالأمراء الكرد والأسر الإقطاعية الكردية في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصدى مشايخ الطرق الصوفية، وخاصة النقشبندية والقادرية الواسعتيْ الانتشار في كردستان، لقيادة الكرد للوقوف في وجه طغيان حكام العثمانيين والإيرانيين، في الأقاليم الكردية. فكان ظهور حركة الشيخ عبيد الله النهري في منطقة شمدينان (محافظة حكاري اليوم في كردستان ـ تركيا) ضمن هذا السياق التاريخي الرافض لسياسة التنظيمات المبنية على المركزية والعلمانية الغربية. وهي أيضا صفحة من صفحات كوردايه تي، لأنها دعت إلى مواصلة الحكم المحلي الكردستاني. وواصل هذه المسيرة فيما بعد العديد من مشايخ الطرق الصوفية المجاهدة في كردستان، خاصة ملا سليم في خيزان (1913م)، والشيخ عبد السلام بارزاني (1914م)، والشيخ سعيد بيران (1925م)، والشيخ محمود الحفيد في كردستان العراق (1918 ـ 1932م).

فالمتتبع لمناهج وأهداف هذه الحركات يرى فيها بوضوح الربط العضوي بين الدفاع عن الشريعة الإسلامية من حيث كونها منهجاً للحكم والدفاع عن مظلومية المسلمين الكرد[3].

(2) نوار، سليمان. **تاريخ العراق الحديث**، القاهرة: 1968 ص 108-114.

(3) انظر الدراسة المنشورة في هذا الكتاب باسم: «**كردستان في ظل حكم الاتحاد والترقي**».

أحداث الانتفاضة

يقول أيمليس كلايتن، نائب القنصل البريطاني في وان، والمتتبع الجيد لحركة الشيخ عبيد الله: كان الشيخ يخطط منذ عودته من جبهات القتال في الحرب الروسية ـ العثمانية (1877 ـ 1878م) لانتفاضة شاملة ضد الدولة العثمانية التي أصبحت في تصوره معرضة للانهيار القريب. فقام الشيخ الذي سبق أن شارك في تلك المعارك الجهادية ضد الروس بالاحتفاظ بالأسلحة التي كانت بحوزة مريديه البالغ تعدادهم 5000 مجاهد وتوجيهها ضد الإدارة العثمانية الفاسدة في كردستان. ولأجل تحقيق هذا الهدف بعث إلى رؤساء الكرد خطابات تحثهم على مساندته في هذا المسعى لإنقاذ كردستان من براثن الباشوات وقمع الضبطية (الشرطة العسكرية) والخلاص من ظلم المأمورين العثمانيين وفسادهم. استغل الشيخ قيام الإدارة العثمانية في تموز 1879 بقتل وأسر مجموعة من أفراد قبيلة الهركي ومعاملتهم بمنتهى الوحشية كشرارة لانطلاق انتفاضته،بعث الشيخ إلى مجموعة من رؤساء الكرد رسالة فحواها بأن الإدارة العثمانية أصبحت غير ذات قدرة في إدارة كردستان وأنه متوجه مع بعض مريديه بعد أيام إلى عمادية (قضاء في محافظة دهوك ـ كردستان الجنوبية) وتحريرها وتحويلها إلى قاعدة لتحرير كل كردستان. ولكن قام الشيخ عبد الله بردكان (لعل القنصل يقصد بريفكان) بإعلام السلطات العثمانية فوراً بالأمر. أرسل والي الموصل كتيبة من القوات العثمانية للدفاع عن عمادية. ولكن ذلك لم يردع الشيخ الذي أرسل ابنه الشيخ عبد القادر، على رأس قوة قوامها 900 مريد. حدثت معركة في أطراف عمادية لم تستطع قوات عبد القادر تحقيق أهدافها، فاضطر إلى سحب قواته تلك، وفي هذه الأثناء كان متصرف باشقالا في جاري يجوب المنطقة الحدودية لجمع الضرائب، أمر الشيخ أنصاره باعتقاله واستعماله رهينةً لضمان إطلاق سراح أنصاره المعتقلين عند الهركيين[4].

يبدو أن السلطات العثمانية سيراً على سياستها التقليدية للحيلولة دون ظهور مركز قوة كردي شجعت قبائل غرب كردستان وحيدرانلو وجهانكير باشا،

(4) FO 78/2991 No. 7 September 6, 1879. From E. Clayton to Major Trotter Van.

أحد الرؤساء الكرد المستنفذين في المنطقة على فتح جبهة داخل كردستان ضد الشيخ، ولما أيقن الشيخ أن السلطات المحلية العثمانية في كردستان لا تزال قوية، وأنّ عدم تأييد قبائل غرب كردستان له يشكل عراقيل كبيرة في طريقه، التجأ مضطراً إلى تأجيل الصراع مع الحكومة العثمانية لفترة وبدأ يتظاهر بأنه مطيع للحكومة والسلطان وأنه لم يرسل ابنه إلى عمادية إلاّ لمساعدة العشائر الكردية هناك لتسوية مشاكلها مع الحكومة بطرق سلمية، ولكن القوات الحكومية هي التي بادرت بإطلاق النار على قوات عبد القادر. ويقال أيضا إن الشيخ طلب (20) ألف بياستر (عملة عثمانية) مصروفاً للزاوية الصوفية في نهري. وهكذا جرى الصلح مع الحكومة ووعد الشيخ بزيارة السلطان في ربيع عام 1880 لتأكيد ولائه للحكومة[5].

إلاّ أنّ الشيخ لم يقم بتلك الزيارة. ويمكن أن نتساءل هنا، لماذا يختار الشيخ الهجوم على عمادية كمرحلة أولى في تحديه للحكومة؟ ولماذا يخونه الشيخ عبد الله البريفكاني، الذي كان هو الآخر شيخاً للطريقة الصوفية في بهدينان؟. لعلّ السبب يكمن في وجود أتباع للشيخ هناك، وأهمية المنطقة الجغرافية والاقتصادية..

بعد هذه المواجهة القصيرة مع الحكومة العثمانية قام الشيخ في بداية عام 1880 بتسخير كل طاقاته وتوجيهها لتحرير كردستان ـ الشرقية (إيران) وحاول تحويلها إلى قاعدة لتحرير عموم كردستان، ويعد العدة العسكرية والمعنوية والمادية الجيدة لهذه المواجهة. واستنادا إلى تقرير مسيو كريميان، أحد الشخصيات الأرمنية في كردستان بدأ الشيخ يفكر منذ شهر حزيران 1880م بالتخطيط للهجوم على القوات الإيرانية في كردستان إيران[6]. أدرك الشيخ أنه بحاجة إلى كسب ودّ وولاء رؤساء القبائل وشيوخ كردستان إلى جانبه قبل البدء بعملياته العسكرية ضد إيران. كما أرسل وفوده إلى رؤساء العشائر الكردية

(5) FO 78/2991 No. 8, Clayton to Major to Trotter, 10 September 1879 Van.

(6) FO 78/2991 Enclosure. In No. 8. Letter from Monsieur Krimian to the Armenian Patriarch, Van, June 20, 1879, Turkey No. 5.

الكبرى يدعوهم إلى الجهاد وتوحيد كردستان. فاستجاب المسلمون الكرد لنداء الجهاد، فاجتمعت مئتا شخصية كردية من كافة أنحاء كردستان (من إيران وكردستان ـ الدولة العثمانية) في نهري ـ حكاري وشكلوا حلفاً باسم (رابطة رؤساء الكرد). وأدّى الأمير بحري بدرخان (ابن الأمير بدرخان) دورا مهما في الإعداد لهذا المؤتمر، الذي حضره شخصيات ووجهاء الكرد من الشيوخ والعلماء ورؤساء العشائر.

وفي تموز 1880 خطب فيهم الشيخ عبيد الله قائلاً:

«جاء العثمانيون إلى الحكم قبل 550 عاما بطريقة غير شرعية، منذ 400 سنة انحرف العثمانيون عن نهج الإسلام، ومنذ ذلك الحين أصبحت الإمبراطورية ضعيفة وأسيرة القوى الأخرى، وإنها في طريقها إلى الانهيار؛ لذلك ليس هناك أدنى شك في أنّ سقوطها قد اقترب كثيراً...

أعزائي، آن الأوان لأن نعطي آذانا صاغية لنصائح أجدادنا، وأن لا نخضع من الآن فصاعداً لظلم الأتراك غير الملتزمين بالإسلام. فإنكم مدعوون للدفاع عن المصالح الكردية وعن العقيدة الإسلامية وعن بلادنا كما دافع عنها دوماً أجدادكم.

في الحقيقة ليست الدولة العثمانية هي الوحيدة في ممارسة الظلم معنا. وإنّ إخوتنا في إيران يعيشون في أوضاع اقتصادية وسياسية يرثى لها، في ظل حكم لا يمت للإسلام بشيء. كما تعلمون إنّ الحكومة الإيرانية منشغلة هذه الأيام بحربها ضد القبائل التركمانية، وأرسلت ما عندها من القوات إلى هناك. وفي حالة هجومنا عليها فإنها لا تستطيع جمع حتى مئة ألف مقاتل ضدنا، وأنّ نصف هؤلاء من الكرد الذين سيلتحقون بنا أثناء المعارك، وسننتصر وسيكون عندنا قاعدة مهمة وغنية للانطلاق ضد عدونا الأكبر وهي الدولة العثمانية»[7].

(7) انظر: عه زيز شه مزينى. **جولانه وه ى رزكارى نيشتمانى كوردستان**، الترجمة الكردية ص60. كانت الجمعية الكردية تملك وقت تشكيلها حوالي 4000 مسلح من الكرد ضمن الدولة العثمانية، و200 مسلح من الكرد الإيرانيين. وخلال فترة قصيرة أصبحت لها فروع في كل المدن والقرى في كردستان الكبرى. (انظر: ميرزا عهزيز، ص 12 - 13).

وقالت المصادر العثمانية إنّ الحكومة وزّعت (20 ألف) قطعة ـ من ـ السلاح للمجاهدين الكرد أثناء الحرب الروسية ـ العثمانية ولم تستطع إعادة هذه الأسلحة[8]. كما أرسل الشيخ وكلاءه لشراء المزيد من الأسلحة، من مدن وان و أرومية. كان الإيرانيون يعتقدون أنّ الحكومة التركية فتحت مخازنها من العتاد لأنصار الشيخ بدون قيود[9]. وفي أثناء المعارك غنم الكرد الكثير من الأسلحة والعتاد من القوات الحكومية التي هربت أو استسلمت لقوات عبيد الله. وأكمل الشيخ استعداده للحرب بمفاتحة القناصل الأوروبية، مستخدماً علاقته الجيدة بالنسطوريين والأرمن في كردستان. وكذلك أعلم الشيخ المنصّرين (المبشّرين للنصرانية) الأميركيين في كردستان أنّ حملته لا تستهدف القوى الأوروبية أو النصارى في كردستان الذين كان الكثير منهم تحت حماية القوى الأوروبية[10]. والغريب في الأمر أنّ الشيخ عبيد الله تصرّف كتصرّف الرؤساء أثناء الحروب. فمع إرسال قواته إلى إيران كتب رسالة إلى إقبال الدولة، حاكم أرومية، يعلمه أنّ قواته بقيادة ابنه الشيخ عبد القادر تنوي تحرير كردستان من الحكم الإيراني والعثماني ونصحه بعدم المقاومة. وأنّ قيامه بالمقاومة لن يجدي لأنّ القوات الكردية تطبق عليه الحصار من جميع الجهات. وأنّه يعمل ليس لصالح الكرد فقط بل لصالح الأمن والاستقرار في المنطقة، وذلك من مصلحة الجميع. لأنّه ينوي إشاعة الأمن والاستقرار في المنطقة التي أخفقت كل من الدولة العثمانية وإيران في تحقيقه[11].

---

(8) FO 78/2991. Enclosure in No. 71, September 9, 1879 Abbott to Thomson, Turkey, No. 4, (1880), pp. 100-101.

(9) Jwaideh, pt. 1, p. 238.

(10) Jwaideh, pt. 1, pp. 233-234.

(11) FO 78/2291 Enclosure, No. 5, in No. 61, Precis of letter from Sheikh Obeidullah to lkbal -ed- Dowleh, Governor of Uremia, September 15, 1880 Turkey No. 5, (1881), pp. 49.

وحاول الشيخ أيضاً بمبادرة سياسية لافتة للنظر كسب الأمير عباس ميرزا، ولي العهد الذي كانت أمه كردية وله صلة وثيقة برؤساء العشائر الكردية وعلى خلاف مع الشاه ناصر الدين، بكتابة رسالة له يدعوه الشيخ للانضمام إلى ثورته. ولكن خاف الأمير من أمر هذه الرسالة وسلم حامليها للحكومة واعدموا فورا. (ميرزا عه زيز، ص 82). يبدو إن =

وفي بداية تشرين الأول دخلت قوات عبيد الله كردستان ـ إيران من ثلاث جبهات:

1) القوة الأولى وهي الرئيسية كان قوامها 20 ألف مقاتل يقودها الشيخ عبد القادر الشيخ عبد القادر، وتوجهت جنوب بحيرة أرومية باتجاه سابلاغ (مهاباد).

2) القوة الثانية بقيت في مركهور لتغطية الخطوط الخلفية للقوة الأولى وكان قوامها ألف مقاتل بقيادة الشيخ صديق الابن الآخر للشيخ عبيد الله.

3) القوة الثالثة كان قوامها خمسة آلاف مقاتل بقيادة خليفة محمد سعيد، وتوجهت صوب مدينة أرومية.

والتحق بالشيخ عبيد الله سبعة آلاف مقاتل، وأصبحت هذه القوات تحاصر أرومية. كما انضمت جماهير كردستان إيران برمتها إلى قوات الشيخ عبيد الله التي عدّتها قوة محررة لهم، وانخرطت في صفوفها بالمئات.

وفي خلال أسابيع قليلة سقطت الإدارة الإيرانية في كردستان، وشكّل الشيخ إدارة بديلة لفترة مؤقتة. وليس هناك أدنى شك في أنّ عدداً لا يستهان به من أبناء العشائر انضموا إلى حركة الشيخ عبيد الله من أجل السلب والنهب. فاستغل هؤلاء ظروف الحرب وقاموا بنهب القرى الأذرية، والشيعية، وممتلكات النسطوريين في منطقة أرومية التي سقطت تحت السيطرة الكردية. ولكن وقعت حادثة مأسوية في ميانداب حين تقدمت القوات الكردية بقيادة الشيخ عبد القادر صوب المدينة. بعد أن طوّقت القوات الكردية ميانداب، أرسل الشيخ عبد القادر خاله مع بعض الحرس إلى داخل المدينة من أجل التفاوض على شروط التسليم.

= الشيخ عبيد الله كان ينوي إحداث انشقاق في الحكومة الإيرانية وأضعافها. يقول عباس ميرزا الذي كان على خلاف مع عمه شاه ناصر الدين إن الرسالة من الشيخ وضعته في أزمة فهو من جانب كان يفكر بالانتقام من الشاه الذي أساء معاملته كثيرا ويستغل الفرصة بالانضمام إلى الشيخ ويذهب إلى تبريز ويعلن الثورة ويقود المعارضة السلمية لإسقاط الشاه وبين مسألة الوفاء للدين (ذهب الشيعي والوفاء لعمه). وأخيرا أختار السبيل الثاني واعلم الشاه بالمسالة واعدم رسل الشيخ عبيد الله. (انظر: حه مه باقى، ص 140-142).

أمر حاكم المدينة بقتل الرسل جميعاً والتمثيل بجسدهم. أثار هذا العمل المشين حفيظة الكرد وقاموا بدخول هذه المدينة وقتلوا منهم حسب بعض الإحصائيات الحكومية 300 شخص، من بينهم أطفال ونساء. إنّ هذا العمل الخاطيء مخالف لما عرف عن الكرد من قيم الفروسية النبيلة، وقد استغلّته الحكومة الإيرانية شرّ استغلال، بهدف تشويه سمعة الانتفاضة في الأوساط الرسمية والعالمية وتصوير الانتفاضة كلّها أعمال قتل ونهب وفوضى قبلية. كما استغلّت الحكومة حادثة ميانداوب لتصوير الانتفاضة بأنّها حرب شيعية ـ سنية لتعبئة وتجنيد الآذريين والفرس الشيعة ضد الكرد[12].

ويعد حصار أرومية في الأسبوعين الأخيرين من شهر تشرين الأول حدث أهم منعطف في الحرب الكردية ـ الإيرانية. فبعد أن أحكم الشيخ عبيد الله الحصار على أرومية ولتفادي أخطاء مياتدواب، أعطى لحاكم المدينة مدة يومين لإخلاء جميع المدنيين، وتسليمه المدينة لثلاثة أيام فقط؛ ثم تعهد بأنه لن يمس أحداً بأذى، وبأنّه سيغادر المدينة بعد يومين لاحتلال مدينة تبريز.

كما طلب خليفة سعيد الناطق باسم القوات المحاصرة في 20 تشرين الأول من المنصّرين النصارى، خاصة الدكتور جوزيف بلوم كوجران، المنّصر الأميركي في أرومية، بإخلاء جميع نصارى أرومية المدينة. أعطى لهم الخليفة سعيد الضمان لحياة المدنيين من المسلمين والنصارى وممتلكاتهم وكتب الشيخ عبيد الله إلى علماء الدين من السنة والشيعة يطالبهم بإقناع إقبال الدولة، حاكم المدينة، والقوات الإيرانية القليلة الباقية في القلعة بمغادرة المدينة من أجل تجنب سفك الدماء. وفي 22 تشرين الأول وافق الشيخ بطلب من القنصل وليم آبوت الإنكليزي والدكتور كوجران بالموافقة على إعطاء إقبال الدولة 24 ساعة إضافية قبل الهجوم على المدينة. استغلّ إقبال الدولة هذه المفاوضات من أجل كسب الوقت لأنه كان على علم بأنّ القوات الحكومية بقيادة تيمور باشا القادم من غرب أذربيجان كانت في طريقها لرفع الحصار عن أرومية.

---

(12) Jwaideh, pt. 1, pp. 263-265;

وانظر: أمين، صالح. **كوردو عجم**، ص171-172.

وفي 24 تشرين الأول وصل جيش إيراني كبير إلى كردستان بقيادة حشمت الدولة، سباه سالار المتقاعد (قائد قوات الشاه). كانت هذه القوة مؤلفة من 20 ألف جندي و20 قطعة مدفعية و12 هاون يرافقهم بعض الضباط من الخبراء العسكريين النمساويين. ومع إنّ قوات الشيخ قامت بمحاولة للدخول إلى أرومية إلاّ أنها تكبدت خسائر، واضطرّت إلى رفع الحصار عن أرومية.

ومن هنا بدأ العد العكسي للانتفاضة الكردية. وأعلم الشيخ عبيد الله ورؤساء الكرد بأن الروس يقومون بدورهم بإرسال قوات إلى نخجوان للاشتراك في المعارك المستقبلية. كما قامت الحكومة العثمانية بجلب عدة ألوية إلى المناطق الحدودية من محافظة حكاري لقطع دابر المعونات والعتاد لقوات الشيخ عبيد الله. ومع اشتداد أوزار الحرب شرع عدد غير قليل من قوات الشيخ من الذين انضموا إليه أصلا للحصول على الغنائم والنهب بالفرار من ساحة المعارك وهذا ما أثَّر في معنويات الكرد. فأمر الشيخ قواته المتبقية بالتفرق. وفي 12 تشرين الثاني 1880 عاد هو مع مجموعة من قواته إلى ناوجيا في نهري ـ حكاري[13]. وهكذا ذابت انتفاضة تشرين 1880 كما يذوب الثلج في الماء، وانهارت بسرعة مذهلة، كما انهارت بعد مئة عام انتفاضة آذار 1991 في كردستان ـ العراق.

بعد عودة الشيخ إلى مقره في حكاري قامت الحكومة الإيرانية، مدعومة من بريطانيا وروسيا، بحملة دبلوماسية مكثفة لإبعاد الشيخ من المناطق الحدودية. فقد هددت الحكومة الإيرانية، على لسان سفيرها في استنبول، بأنها قد تضطر إلى دخول الأراضي العثمانية لمعاقبة الشيخ إذا لم تقم الحكومة العثمانية باعتقاله. كانت إيران تطالب بالتعويضات الكبيرة من حكومة السلطان، لكون الشيخ عبيد الله من رعايا الدولة العثمانية. وكان الشاه يطالب أيضا بتسليم المئات من رؤساء الكرد والشيوخ من كردستان إيران، خاصة همزة الآغا

(13) جه مال ميرزا عه زيز، له تاريكى يه وه بو رووناكى، بلكه نامه كانى شورشى 1880 سليّمانى. سه ردم، 1999، ص 166 - 170. كان هدف الشيخ عبيد الله من الهجوم المخطط له على تبريز هو محاصرة المدينة المذكورة واستعمال الحصار كورقة تفاوضية مع الحكومة المركزية. انظر: (Speer, 83).

المنكوري الذي كان أحد أهم قواد عبيد الله، الذي التجأ مع غيره بعد الانتفاضة إلى كردستان ـ تركيا. قدرت الحكومة العثمانية عدد اللاجئين بثلاثين ألف لاجئ، كانوا يعيشون في ظروف يرثى لها[14].

وفي تموز 1881 وبعد ضغط كبير من السفارتين البريطانية والروسية في استنبول، وبعد وصول مبعوث السلطان إلى نهري اضطر الشيخ عبيد الله إلى التوجه إلى استنبول للإقامة الجبرية هناك. وفي طريقه إلى العاصمة استقبله الناس والمسؤولون العثمانيون استقبال بطل وليس استقبال أسير؛ وهذا ما أقلق الحكومة الإيرانية وممثلي الحكومة البريطانية وروسيا في استنبول والتقاه السلطان وأكرمه وخصص له إقامة ومخصصاً شهرياً يليق بمقامه[15]. ولكن الشيخ كان عازما على تحقيق تحرير كردستان فهرب من منفاه في شهر آب 1882 وعاد إلى نهري.

وأثارت عودة الشيخ موجة من السخط في إيران وعند الحكومتين البريطانية والروسية، واتهم هؤلاء الحكومة العثمانية بكونها وراء هروب الشيخ لإثارة القلاقل من جديد في المناطق الحدودية مع إيران، ولكن الوثائق لا تؤكد هذه التهمة. في الحقيقة؛ إنّ هروب الشيخ أقلق الحكومة العثمانية كثيرا وجرت دراسة الموقف واتخذ قراراً فوريا بإلقاء القبض عليه وإبعاده إلى مكّة المكرمة[16].

بعد أن عاد الشيخ إلى نهري توافدت الألوف من مريديه ومن رؤساء الكرد لزيارته وأبدوا الاستعداد للمشاركة في أي مشروع يقوم به الشيخ من أجل

---

(14) ميرزا عه زيز، ص 47 - 49، في آب 1881. وبعد أن أصدر حاكم ساوبلاغ العفو عن همزة ورجاله. عاد الأخير إلى إيران وفي طريقه لزيارة الحاكم في ساوبلاغ وضع لهمزة كمين حكومي بأمر من الحاكم وقتل همزا آغا و 13 من إتباعه. أرسل الحاكم رأس همزة آغا المقطوع إلى الأمير نظام حاكم أذربيجان. (انظر:

FO 60 FO. 60/ 441, No. 2. telegram. From Abbtt to Thomson, Tabreez, Augest 3, 1881.

(15) Speer, pp. 99 - 101, Jwaideh, pt. 1, pp. 243-244.

(16) Y. A. Res Jamadud ula 20, 1298, (April 19, 1881); Y. A. Res / 1299 h. 2258 (August 21, 1882); Jwaideh, pt. 1, pp. 265-266.

تحقيق حقوق الأكراد. ويؤكد المسؤولون المحليون أنهم كانوا غير قادرين على اعتقال الشيخ لأنه كان يحظى بدعم الجماهير، بوصفه عالم دين في المنطقة[17].

وفي نهاية تشرين الأول عام 1882، وبعد أن جرى استدعاء عدة فرق عسكرية من الولايات المجاورة وبعد أن طوّقت نهري من جميع الجهات، دخل الشيخ عبيد الله في مفاوضات مع كامل بك مبعوث السلطان الخاص حول إبعاد الشيخ إلى مكة المكرمة[18]. ألحّ الشيخ كثيراً على السماح له في السكن في الموصل لأنّ طقسها يشبه طقس الحكاري. إلاّ أنّ الإدارة العثمانية رفضت هذا الطلب، لأنها كانت قلقة من قيام الشيخ في الموصل بتدبير انتفاضة أخرى ضدّها. وفي الطريق إلى الموصل حاول الشيخ عبد القادر إنقاذ أبيه من القافلة العسكرية التي كانت ترافق ترحيل أبيه وعائلته، ولكن دون جدوى فاضطرّ الشيخان محمد الصادق وعبد القادر إلى الالتحاق بأبيهما وجرى نقلهم جميعاً إلى الحجاز. ثم توفي الشيخ عبيد الله هناك في عام 1883[19].

---

(17) FO 60/449 No. 40 September 16, 1882 Tabreez, William Abbott to Thomson.

(18) FO 60/449 No. 34 August 29, 1882 Tabreez, William Abbott to Thomson.
صالح ثه مين، ص 191؛ قبل أن يقرر الباب العالي إلقاء القبض على الشيخ عبيد الله، تم دراسة تبعات المسألة بتفصيل في مجلس الوزراء العثماني وكان هناك خوف عند الحكومة العثمانية بأن الشيخ قد يحاول الهرب إلى إيران ويستخدمه الإيرانيون ضد الدولة العثمانية في المستقبل. ولم يتم إلقاء القبض على الشيخ إلا بعد أن حصلت وزارة الخارجية العثماني على ضمان من الحكومة الإيرانية بصدد هذه المسألة. انظر: Y. A. Res. 1298, 20 Jumadel Athani. (April 19, 1881).

(19) FO 60/446. December 7, 1882 Memorandum by Mirza Jawad Khan; Fo 60/449, No. 47 October 4, 1882 Tabreez, William Abbott to Thomson.
يقول ميرزا جواد خان، المترجم في السفارة البريطانية في استنبول، في المذكرة هذه: «بعد سلسلة من المماطلات والمحاولات المتعمدة لتأخير سفره إلى سورية، أخيراً وافق الشيخ عبيدلله على مصاحبة كامل بيك، مبعوث السلطان إلى سوريا، وكان في حراستهم مجموعة من الجنود. وحال وصولهم منطقة شبتان حاول الشيخ عبيدالله تأخير سفره بذرائع شتى منها مرض زوجته وحجج أخرى. وفي الوقت نفسه اتصل الشيخ بابن الشيخ عبد القادر وطلب منه الهجوم على القوة المرافقة له وإطلاق سراحه. هاجمت قوات الشيخ عبد القادر المفرزة العسكرية، وتم قتل واسر جميع من فيها، إلاّ أنّ كامل باشا الذي =

في صدد تقويمه لانتفاضة الشيخ عبيد الله يقول الأستاذ نوشيروان مصطفى (صالح أمين) إنّ الشيخ ارتكب خطأ كبيراً في عدم استغلاله لعامل الوقت ودخول أرومية التي كان عدد المقاتلين فيها قليلاً جداً، وذات معنويات منهارة. ثم يسأل الأستاذ نوشيروان لماذا اختار الشيخ عبيد الله أرومية ذات الطبيعة التعددية الإثنية والدينية مقراً رئيسياً له؟[20] ليس من الصعوبة فهم سبب قيام الشيخ عبيد الله بالتركيز على أرومية، لأنّه كان للشيخ الكثير من الأنصار في المنطقة وكانوا على اتصال به؛ ويدعونه لإنقاذهم من ظلم الحكم القاجاري الذي أصبح لا يطاق. وأنّ الكرد من أيام سمكو يريدون أن تكون أرومية المدينة التاريخية عاصمة لدولتهم، لأنّها كانت أيضاً تهيمن على اقتصاد المنطقة، من الناحية التجارية.

كلّفت الانتفاضة الشعب الكردي والحكومة الإيرانية الكثير من الضحايا والخسائر في الأموال والأرواح. فقد تسببت الانتفاضة في حرق أكثر من 2000 قرية، ناهيك عن الألوف من المشردين من الكرد والآريين. اضطر الألوف من الكرد الإيرانيين من أبناء القبائل التي ساندت عبيد الله إلى الذهاب إلى كردستان ـ تركيا خوفاً من حرب الإبادة التي كانت تشنها قوات الشاه.

صحيح أنّ القوات الكردية هي الأخرى ارتكبت فضائح القتل للمدنيين والسلب والنهب، إلاّ أنّ المتتبعين للأحداث يتفقون بأنّ ما قامت به القوات الحكومية كانت تفوق الأخطاء التي قامت بها القوات الكردية بأضعاف مضاعفة. كانت القوات الحكومية تتّبع سياسة الأرض المحروقة من حرق القرى، القتل الجماعي، حملات السلب والنهب الجماعي، واغتصاب النساء الكرديات[21].

= أصبح أسيرا عند الكرد استطاع أن يغري بعضهم وأرسل معلومات إلى موسى باشا للهجوم فوراً على شبتان، وبعد وصول القوات الحكومية من مناطق عديدة، حدثت معركة قتل فيها من الكرد 200 شخص، واضطر الشيخ إلى الاستسلام قام حسين باشا وبصق في وجهه وشتمه، وقال للشيخ «أنت يزيدي ملعون». «وخنزير»، وقال كامل باشا: «بل إن الشيخ أسوأ من الخنزير». ربط أيادي الشيخ وأرجله بالحبال ووضعه فوق حمار لأهانته في الطريق».

(20) انظر: **كوردو عه جم**، ص171-173.

(21) Speer, 94؛ ميرزا عه زيز، 94، 138، حه مه باقى، ص 11.

وقامت الحكومة بفرض العقوبة الجماعية على القرى المساندة للانتفاضة، من قبيل دفع الغرامات مثلاً 10 آلاف تومان عن شيخ كل قرية شاركت في الانتفاضة[22].

أهداف الانتفاضة

يكتب الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الشمزيني (الماركسي)، وأحد أحفاد الشيخ عبيد الله: «إنّ هناك بعض الباحثين الذين أعطوا لانتفاضة الشيخ عبيد الله أسباباً دينية، ويتهمه الإيرانيون وخصومه الآخرون بأنّ حركته كانت تجسيداً لرغبة القبائل الكردية في القيام بالفوضى والنهب، كما أنّ هناك من يعتقد أنّ الشيخ كان يتحرك ضمن مخطط تركي ضدّ إيران والقوى الأوروبية. ولكن لم تكن حركته من أجل أيّ من تلك الأسباب، وإنما كانت من أجل حقيق استقلال كردستان»[23].

إنّ الفقرة المتقدمة والمقتبسة من كتاب الأستاذ الشمزيني تلخّص تلخيصاً جيداً طبيعة الحوار حول أهداف انتفاضة الشيخ عبيد الله. على الرغم من اتفاقنا معه على تحرير كردستان من الحكم العثماني والإيراني كان هو هدف الشيخ، إلا أنّنا لا نستطيع التعامل مع حركة الشيخ كأنها إحدى الحركات القومية المعاصرة والمنطلقة من أهداف استوحتها من الثورة الفرنسية أو من مبادئ ولسن ولينين في حق الشعوب في تقرير المصير، لذلك هناك طبيعة خاصة لحركة الشيخ عبيد الله، ولفهم هذه الخصوصية يجب وضع الحركة ضمن سياقها التاريخي، وهي كوراديه تى كما فهمه شيوخ الطرق الصوفية (النقشبندية والقادرية) في كردستان، لذلك لا يمكن مثلاً عزلها عن الدوافع الدينية التي امتزجت بالطموحات الشخصية للشيخ، وهو الذي أراد أن يؤسس إمارة أو حكومة كردية مستقلة تحت إمرته.

أمّا فيما يخصّ العامل الديني، فيمكن القول إنّ الشيخ عبيد الله جمع في

(22) ميرزا عه زيز، **جولانه وه ى رزكارى نيشتمانى كوردستان**، 1985، ص98-100.
(23) المرجع السابق، ص61-62.

شخصيته العديد من الصفات التي يتطلبها المصلح الإسلامي المجاهد. فكان قبل كلّ شيء تقياً ورعاً، وعالماً عاملاً يتوافد على تكيته العلماء، من أنحاء الإمبراطورية العثمانية والإيرانية ليأخذوا رأيه في الكثير من القضايا العلمية والأمور التي كانت تخص المسلمين الكرد؛ وكان له إلمام جيد بالعلوم الإسلامية، خاصة علم الحديث[24].

يكتب المنصِّر الأمريكي الدكتور جوزيف كوجران، الذي حلّ أسبوعين ضيفاً على الشيخ عبيد الله، عن شخصية الشيخ قائلاً:

«كان الشيخ في الثالثة والخمسين من العمر، وكان ذا وقار ورزانة واضحين؛ وكان يرتدي السروال الكردي ويغطي رأسه بقطعة من القماش الأبيض الخاص بعلماء الإسلام في المنطقة. وكان مطّلعاً جيداً على العلوم الإسلامية، ويتحدث بطلاقة بالعربية والفارسية والتركية... وكان متديناً، ويتكلم كثيراً عن الله والإسلام. وله قناعة راسخة أنّه يعمل لتحقيق المصالح الكردية بمشيئة ربانية. ويريد أن يحلّ حكم العدالة الإسلامية في كردستان محل الفساد والانحراف العثماني»[25].

ويبدي ا. ج. آبوت، القنصل البريطاني في تبريز، إعجاباً مماثلاً بشخصية الشيخ عبيد الله مضيفاً:

«إنّ للشيخ عادات ورسوماً مماثلة لعادات الملوك والقادة والزعماء التاريخيين. فمن جانب، عنده الخدم وبلاط كبير ويأكل في بيته يومياً ما بين 500 إلى 1000 شخص، ومن طبقات اجتماعية مختلفة؛ ومن جانب آخر، فهو يحيا حياة يومية بسيطة جداً في مأكله وملابسه. ولا يدخل الكحول إلى مدينة باشقلا (ولاية وان) الخاضعة لحكمه. وهو محبوب في عموم كردسان، وليس هناك في المناطق التابعة لحكمه فساد أو رشوة، ولا يتجرأ المسؤولون القائمون بإدارة الأمور في منطقته على مخالفة القوانين، ويحكم بالموت لمن يخالف

(24) Jwaideh, pt. 1, pp. 220-222.

(25) Speer, pp. 79-80.

تلك القوانين، وهو ذكي ومتلهف لفهم حضارة الغرب والاستفادة منها. وهو على صلة وثيقة بالعلماء في خارج كردستان. وله اطّلاع على الآداب والتاريخ الكردي»[26].

إنّ الشخصية الجذابة (كارزماتك) فضلا عن الورع والاستقامة في الخلق اللذين عرف بهما، أكسبته حبّ الآلاف من مريديه وتقديرهم، وكذلك احترام المسؤولين العثمانيين وعلى رأسهم السلطان عبدالحميد. ويقول المستشرق الإنكليزي (ج. ولسن) في وصف الشيخ عبيد الله ما يلي: «كان أكثر الناس قداسة ونفوذاً، في العالم الإسلامي، بعد السلطان وشريف مكة هو الشيخ عبيد الله»[27].

ويضيف القنصل آبوت: «كان الشيخ متوسط القامة، والناظر إلى ملامح وجهه يتخيل أنّ الشيخ لم يتجاوز الخامسة والأربعين... كانت لحيته الخفيفة مصبوغة بصبغ أسود... إنّ الانطباع الذي تركه فيّ الشيخ عبيد الله هو أنّه كان رجلاً ذا إرادة وتصميم قويين، وله قدرة فائقة في التأثير في الآخرين وتحريكهم من أجل أهدافه...»[28].

فالتواضع والزهد في المأكل والملبس وشغفه لحب الخير للمستضعفين من الفلاحين والمحتاجين الذين كانوا يرتادون تكيته دوماً، أكسبته قلوب العامة. كان الشيخ حريصاً على أن يلتقي بنفسه بالناس ويستمع إلى حاجات الزوار من الفقراء الفلاحين، وفضلاً عن ذلك، كانت هناك دار للأيتام في مدينته يشرف عليها وعلى مصروفاتها الشيخ شخصياً. وامتاز الشيخ عبيد الله بكونه رجلاً عادلاً وصارماً في الوقوف بوجه الظلم، فلم يتردد في إعدام مجموعة من أبناء عشيرته، حين سمع نبأ تعرضهم لإحدى القرى المجاورة ونهبهم لممتلكاتها. فأمر بإعدام المجرمين وكان بينهم قريب له[29].

---

(26) ملحق 3، رقم 8، تبريز، 8 تموز 1880، ميرزا عه زيز.

(27) Persian Life And Costumes (New York:1969), p. 110.

(28) FO 60/441 No. 23 01/1881 Tabreez, Confidential.

(29) Jwaideh, pt. 1, pp. 221.

وأخيراً كان الشيخ رجلاً ذكياً متفتحاً للأفكار الأخرى، وعملياً يتابع أحداث الساعة في العالم الإسلامي وقضاياها، ويراقب عن كثب صراع القوى بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية. فالتسامح والانفتاح على الغير جعلاه موضع تقدير واحترام عند النصارى من الأرمن والنسطوريين في كردستان؛ فكانوا يتوافدون إليه باستمرار[30]. كان الشيخ عبيد الله حريصاً على الإسلام ويؤلمه كثيراً الهجمة الأوروبية على الدولة العثمانية، لذلك لبّى هو وأتباعه نداء السلطان للجهاد ضدّ الروس. ففي أثناء الحرب الروسية ـ العثمانية، (1877 ـ 1878) كان قائداً لقوة كبيرة من المجاهدين الكرد. وفي أثناء هذه الحرب شهد بأمّ عينه فقدان الانضباط والمعنويات عند القوات العثمانية، وازدادت قناعته أنّ الدولة العثمانية ستسقط آجلاً أم عاجلاً، لأنّها ابتعدت من تطبيق الشريعة الإسلامية، وتسلل الفساد إلى جهازها العسكري والسياسي، وأنّ المسؤولين عليها ليسوا في مستوى التحدي للقوى الأوروبية، أصبحت سفارات الدول الأوروبية في استنبول تهيمن على مراكز القرار فيها[31].

وخلّفت الحرب العثمانية ـ الروسية الأخيرة دماراً في منطقة كردستان لأنّها كانت مسرحاً للعمليات العسكرية. وساهم المسؤولون العثمانيون، بزيادتهم للضرائب واختلاسهم واغتصابهم المتكرر لأموال الفلاحين، وتفشي ظاهرة الرشوة بينهم إلى حدٍ كبير في تدهور الظروف المعيشية للناس في المنطقة. فكتب الشيخ عبيد الله مراراً إلى السلطان يشكو له هذه الأحوال ويطالبه باتخاذ إجراءات رادعة، ولكن دون جدوى. وبادر أيضاً في عام 1879 بإرسال ابنه عبدالقادر إلى استنبول ليقدم مشروعاً من طرف أبيه يقترح تشكيل ولاية كردستان الكبرى، وأن يكون الشيخ مسؤولاً عنها، ولكن هذه المبادرة فشلت أيضاً[32].

ومن جانب آخر فإنّ تسلّط القوى الأوروبية على الدولة العثمانية كان يقض مضاجع الشيخ عبيد الله كثيراً، ويستاء منها. ففي عام 1878 فرضت

---

(30) Jwaideh, pt. 1, pp. 233-234.

(31) FO 78/8094 Kochannes, August 2, 1880 E. Clayton Vice Consul at Van.

(32) Enclosure 3 in No. 2, Erzerum, Teleg. No. 27, D. Stewart. 3096/78

القوى الأوروبية على الدولة العثمانية، التي منيت بهزيمة في الحرب الروسية ـ العثمانية 1877 ـ 1878، اتفاقية برلين التي أعطت في المواد 10 و61 حق التدخل للقوى الأوروبية في كردستان ـ تركيا، لحماية الأرمن ممّا أسمتها بـ «الاعتداءات الكردية» عليهم. أعطت تلك الاتفاقية أيضاً مجموعة من الامتيازات للنصارى في كردستان على حساب الحقوق الكردية، وكان كلّ ذلك تحت ذريعة الإصلاحات، وحماية الحقوق؛ وأصبحت بريطانيا الدولة الراعية للاتفاقية. وكان الشيخ على علم بالأحداث في أوروبا، وأدرك أنّ الاتفاقية هي في حقيقتها غطاء دولي لبناء كيانٍ أرمني في منطقة كردستان. وكان ذلك مطمح روسيا القيصرية وبريطانيا لأكثر من قرن. لذلك عزم الشيخ عبيد الله على مقاومته بكل السبل المتوافرة لديه.

ولم يخف ذلك عن السلطان، فحينما زاره أحد ممثلي السلطان، في تكيته، قال له الشيخ: «ما هذا... سمعت أنكم وافقتم على تأسيس دولة مستقلة للأرمن، ووافقتم على هيمنتهم على المسلمين الكرد، وأنّ النسطوريين في كردستان سيرفعون علم بريطانيا قريباً. إنّنا لن نقبل بذلك، ولن نُدخر وسعاً لمقاومته، وسنسلح رجالنا ونساءنا إن اقتضت الضرورة للحيلولة دون ذلك»[33]. وفي خطبته التاريخية في مؤتمر رؤساء كردستان وشيوخها في نهري، والتي سبق الإشارة إليه فيما تقدم، يقول الشيخ لرؤساء الكرد: «إنكم مدعوون للدفاع عن المصالح الكردية، وعن العقيدة الإسلامية، وعن الوطن كما دافع عنها دوماً أجدادكم».

كان معظم وجهاء الكرد ورؤسائهم يشاركون الشيخ عبيد الله في هذا الشعور، فيكتب حاجي قادر كوبي قصائد شعرية، والتي تعدّ انعكاساً حقيقياً للشعور السائد في كردستان:

خاكى جزير و بوتانيه عنى ولآتـى كـوردان

سه د حيف وسه د مخابنده يكه ن به ئه رمه نستان

(33) Jwaideh, pt. 1, pp. 111.

مه سجيد ده بيته ديرهوناقووسيان موئه زين

مه تران ده بيته قازى موفتى ده بيته ره هبان

ترجمة الأبيات:

«إنّ ولاية جزيرة وبوتان هي أرض كردستان، يا أسفاً أنّها ستتحول إلى أرمنستان، وستتحول المساجد إلى أديرة، وسيحل الناقوس مكان المؤذن، وسيكون المطران هو القاضي، وسيتحوّل المفتي إلى راهب»[34].

حاول السلطان عبدالحميد أن يثني عزيمة الشيخ عن الجهاد، وأرسل إليه مفتي وان، وقال المفتي للشيخ: «ليس من الشريعة أن تخرج عن طاعة السلطان». ردّ عليه الشيخ عبيد الله: «إنّ الدولة ابتعدت من تطبيق الشريعة، وإنّ هناك مظالم لا تطاق، وإنّه يرى من واجبه كعالم وكقائد لشعب مسلم التصدّي لها»[35].

أكّد الشيخ لأنصاره أنّ الدولة العثمانية وإيران، قد فرضتا عليه الحرب نتيجة لضغط سفارات القوى الأوروبية عليهما. لذلك فإنّ حربه جهاد مقدس لحماية بيضة الإسلام[36]. أدرك ممثلي القوى الأوروبية الطبيعة الإسلامية لحركة الشيخ عبيد الله. ففي 15 تموز 1880، يكتب وليم آبوت القنصل البريطاني في أرومية:

«أنا على ثقة بأنّ حركة الشيخ مدعومة من قبل الأطراف المحافظة في تركيا، ويجب مراقبتها، لأنّه سيكون لها قريباً أثر كبير... وأنّ الشيخ يثير التعصب بين المسلمين، وإذا لم يضع حداً لها فإنّ ذلك سيؤدي إلى الإضرار بالمصالح الغربية والنصارى»[37].

ولم يخف الشيخ عبيد الله وابنه الشيخ عبدالقادر الطبيعة الإسلامية

---

(34) حمه باقى، ص96-97.

(35) ن. خالفين. **خه بات له رى ى كوردستان**، 1971، ص167-168.

(36) FO 78/8094 Kochannes August. 2, 1880 E. Clayton Vice Consul at Van.

(37) ميرزا عه زيز، مرجع سابق، ص17-35.

للحركة، فالشيخ يخاطب أنصاره بالمجاهدين. وفي مناسبة محاصرة قوات الشيخ أرومية يكتب في رسالة له عبارة: «بفضل الله وعونه أنّ جيش الإسلام منتصر»[38]. إنّ لهذه العبارة دلالة واضحة عن طبيعة الحركة التي كان يقودها الشيخ عبيد الله.

ولكنّ الشيخ يعدّ بحق رائد كورديه تى؛ لأنّه كان يحمل قناعة راسخة بأنّ الكرد مظلومون تحت الحكم العثماني والإيراني في آن واحد، وأنّهم يستحقون دولة خاصة بهم.

كتب في تشرين الأول 1880 رسالة إلى الدكتور كوجران يبيّن أسباب تحرك قواته إلى كردستان إيران قائلاً: لا يحمل العثمانيون ولا الإيرانيون نوايا صادقة تجاه الكرد، ويحاولون حرماننا من أبسط الحقوق... يزيد نفوس الكرد على 500,000 عائلة، ودينهم (ولعل المقصود مذهبهم) مختلف عن الترك والفرس ولهم عادات وأعراف خاصة بهم. ولكن جرى تعريفهم لحدّ الآن بالعناد وبعض العادات السيئة. نلفت أنظاركم إلى أنّ هذه الصفات أعطيت لهم بغير حق من قبل الإيرانيين والعثمانيين. فمثلاً نرى أنّ علي آغا الشكاك رجل شقي وهو يؤذي النصارى والمسلمين معاً. ولكن هذا لا يسوّغ أن يوصف كلّ الكرد بالبربرية؛ وإنّ العشائر الكردية لن تتحمل بعد الآن هذه الإساءات، فحملت السلاح لتدافع عن نفسها، ولن يقبل العيش تحت حكم هذين النظامين[39].

نرى في الحديث المار ذكره صدى لفكر كورديه تى الذي كان يبشر به الشاعر الصوفي أحمد خاني ويواصله حاجي قادر كويي. كما أنّ تأكيد خصوصية الكرد بين جيرانهم نظرة رائدة لشيخ طريقة صوفية، وإشاراته إلى مقومات الدولة القومية: اللغة، والأرض والعادات، هما جديران بالملاحظة. لذلك عدّ بعض الباحثين هذه الرسالة أول وثيقة في الفكر القومي الكردي[40].

(38) ميرزا عه زيز، م. س. ص139.
(39) ميرزا عه زيز، م. س. ص 86.
(40) حمه باقى، م. س. ص121-131.

نعتقد أنّ تلك القراءة غير موضوعية لوثيقة صادرة عن شيخ طريقة صوفية لم يطلع على الفكر القومي ولم يتأثر به. ولكن يمكن فهم رسالة الشيخ عبيد الله ضمن إطار كورداية تى (العمل للمصالح الكردية وليست بالضرورة للفكر القومي الكردي)، كما عرفه شيوخ الطريقة الصوفية. كان الشيخ عبيد الله وبشكل لافت للنظر ـ كما يشهد بذلك القناصل البريطانيون الذين التقوا به ـ مراقب جيد لأحداث العالم وخفايا السياسة الدولية آنذاك. ويعرف أنّ القوى الأوروبية هي التي تملك زمام الأمور في داخل الدولة العثمانية وإيران، فحاول وبكل السبل استمالتهم للمسألة الكردية.

قال الشيخ لممثلي بريطانيا، مراراً وتكراراً، إنّه لا يحمل نوايا عدوانية تجاه نصارى كردستان؛ ففي 2 آب 1880 قال الشيخ لكلايتون:

«رغم أنّني من رعية السلطان إلا أنني أحب أن أكون رهن إشارة بريطانية لأنّني على اتصال بمسلمي الهند وتطورهم في ظل الحكم البريطاني، وإنّني مستعد لتنفيذ أوامر بريطانيا. وإذا توافر لي الدعم من بريطانيا فأنا قادر على إخراج العثمانيين والإيرانيين من كردستان. كما أنّني لا أعترض على تشكيل دولة أرمنية بشرط أن يكون للكرد الحق نفسه؛ وتعهّد لهم في حالة تأسيس الحكومة الكردية فإنّه يحسن معاملتهم ويسمح لهم ببناء الكنائس بكل حرية، ويضمن لهم حرية العقيدة وسلامة ممتلكاتهم»[41].

وكان الشيخ يعرف جيداً أنّ بريطانيا مستاءة من الحروب القبلية الكردية عبر الحدود العثمانية الإيرانية، التي كانت تخلق توتراً في العلاقات البريطانية الروسية، فتعهّد الجيش بإنهاء تلك الحالة وإشاعة الأمن والاستقرار في المنطقة. وخاطب الشيخ عبيد الله القنصل آبوت قائلاً: «إذا لم أستطع إدارة الحكومة بقدرة وكفاءة، وضمان العدالة للجميع فلتحاكمني لجنة أوروبية»[42]. كما خاطب الشيخ عبيد الله الحكومة الروسية باللهجة الدبلوماسية نفسها من خلال قنصلهم في أرضروم. أكّد الشيخ من خلال ممثليه إلى القنصل الروسي

(41) FO 78/8094 Kochannes August2, 1880 E. Clayton Vice Consul at Van.

(42) ميرزا عه زيز، م. س. ص 69-70.

أنّ الدولة العثمانية أصبحت غير قادرة على حفظ السلام في المناطق الحدودية والحفاظ على أرواح وممتلكات الكرد. وقال الشيخ: «إنّ روسيا هي جيران الكرد، وأنّ الكرد ملزمون ببناء علاقات أقوى معها من التي عندهم مع بريطانيا»[43].

أسباب الانهيار المفاجئ لانتفاضة الشيخ عبيد الله

هناك أسباب عديدة لانهيار حركة الشيخ عبيد الله وأهم تلك الأسباب هي صراع القوى الأوروبية من أجل النفوذ داخل الدولة العثمانية وإيران، التعاون الإقليمي بين إيران والدولة العثمانية على حساب الكرد، طبيعة الشيخ عبيد الله وسوء تقديره لقوة كلّ من الدولة العثمانية وإيران، وأخيراً اعتماده على الشيوخ ورؤساء الكرد خارج الطريقة النقشبندية.

يقول الأستاذ صالح أمين: «إنّ الانهيار المفاجئ لحركة الشيخ يعود إلى عدم درايته بحرب العصابات، وقيامه بطلب من رجاله بالعودة إلى بيوتهم. كان من الممكن أن ينسحب الشيخ إلى الجبال الوعرة في المناطق الحدودية»[44].

إنّ عدم لجوء الشيخ عبيد الله إلى حرب العصابات فعلاً مسألة محيرة. علماً أنّ للنقشبندية في ذلك الوقت تراثاً غنياً ومعاصراً في الجهاد، على شكل حرب العصابات. كان الشيخ شامل الداغستاني يقود حرب العصابات لثلاثة عقود (1834 ـ 1859) ضدّ القوات الروسية المحتلة لداغستان والشيشان. علماً أنّ الشيخ شامل كان على صلة وثيقة بالشيخ طه والد الشيخ عبيد الله. وفي هذه الفترة نفسها كان الأمير عبدالقادر الجزائري، ابن رئيس الطريقة الصوفية، يقود جهاداً مريراً في الجزائر في الفترة (1832 ـ 1847) ضدّ الفرنسيين. وهو الآخر شنّ حرب العصابات ولمدة 15عاماً بواسطة مريدي الطريقة. السؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا لم يقلد الشيخ عبيد الله أسلوب جهاد هذين الشيخين، مع أنّه عاش أحداث هذين المجاهدين وأخبارهما في شبابه؟ فلم يكن الشيخ بحاجة

(43) صالح ئه مين، م. س. ص180-181.

(44) كوردو عه جم، م. س. ص174.

إلى دراسة حرب العصابات التابعة للحركات الماركسية حتى يفهم معنى حرب العصابات؛ لأنّ حياتي عبدالقادر الجزائري والشيخ شامل تقدمان لنا أروع تراث في الجهاد على طريق الكرّ والفرّ (حرب العصابات). إنّ ما يميّز حركة الشيخ عبيد الله من الحركتين المذكورتين هو أنّ الشيخ عبيد الله سمح لكثير من رؤساء القبائل من النفعيين، وأصحاب المصالح في الانخراط في ثورته.

ويبدو أنّ الشيخ لم يفهم الطبيعة الاستغلالية والنفعية لهذه الشريحة في المجتمع الكردي التي لا تفكر إلاّ بمصالحهما الشخصية والعائلية، والتي تنحاز دائماً إلى جانب القوي في المعارك. وأنّ هؤلاء الرؤساء لم يفكروا إلاّ بتحقيق مكاسب مادية سريعة ولم يكن لهم نفس الجهاد الطويل؛ لذلك فإنّ هروبهم الجماعي، وانخراط قسم منهم في معسكر العدوّ أدّيا إلى انهيار المعنويات في داخل قوات الشيخ عبيد الله. في حين اعتمد عبدالقادر الجزائري والشيخ شامل على مريدي الطريقة الذين أعطيت لهم المهام السياسية والعسكرية، وأنيطت بهم مهمة الجهاد، وقضى الشيخ شامل على كلّ الأعراف والعادات القبلية المؤذية لأبناء القبائل، ودمّر قوة رؤساء القبائل، خاصة المتعاونين مع الفرنسيين.

وكان هؤلاء المريدون يؤمنون بقدرة قائدهم على خلق المعجزات في المعارك، وتشبعوا بروح الجهاد، وكانوا يربطون أرجلهم بالحبال حتى لا يفكروا في الهروب. علماً أنّ الجهاد الجزائري والداغستاني كان يحدث في بقعة جغرافية لا تختلف كثيراً عن بيئة كردستان وعند شعب له نسيج اجتماعي أيضاً قريب من تركيبة المجتمع الكردي.

كما أنّ الشيخ عبيد الله أخطأ في التقليل من قدرة أعدائه، وبالغ في قدرته الذاتية، وانخدع بوعود القناصل البريطانية والمنصّرين الأمريكيين في كردستان. كما رأينا فيما سبق في الرسالة التي بعثها الشيخ عبيد الله إلى الشيخ عبد الله البريفكاني، يقول فيها لم يبق شيء اسمه الحكم العثماني، وأنّ الدولة العثمانية ستنهار وتُوزّع ممتلكاتها قريباً بين القوى الأوروبية. ولكن تفاجأت قواته في الموصل (عمادية) بمقاومة قوية من قبل القوات الموالية للحكومة. وفجأة أنهى الشيخ الجهاد ضدّ الدولة العثمانية في 1879م، وبدأ يوجه أنظاره إلى إيران.

وهنا أيضاً يمكن لنا من تحليلنا لخطبته ـ المارّ ذكرها ـ في نهري قبل هجومه على إيران، إدراك حقيقة أنّ الشيخ لم يتوقع أن تستطيع الحكومة الإيرانية إرسال القوات الكافية لمقاومة قواته. وكما رأينا سالفاً وضع الشاه أضعاف عدد القوة التي كانت تحارب تحت إمرة الشيخ وبأسلحة متفوقة جداً على أسلحة قوات الشيخ.

أضف إلى ذلك أنّ الشيخ لم يفهم جيداً اللغة الدبلوماسية التي كان يخاطبه بها القناصل والمنصّرون، فوقع الشيخ فريسة للصداقة الظاهرية والخداع اللذين كانا يبديهما الدكتور كوجران والقنصل أبوت ونائب القنصل كلايتون. فبينما كان هؤلاء يبدون التعاطف والاهتمام الظاهري بالشيخ كانوا سراً يبعثون بالعديد من التقارير يبيّنون فيها مدى خطورة الشيخ على السلام والاستقرار في داخل إيران والدولة العثمانية. ووضع الشيخ ثقته فيهم وتوقع أن يقوم هؤلاء بإقناع الحكومة البريطانية بتأييده ضدّ الدولة العثمانية وإيران.

كما أساء الشيخ فهم حقيقة موقف الحكومة العثمانية من شنّه الهجوم على كردستان إيران. علماً أنّ العثمانيين في البداية تغاضوا عن مسألة أخذ الشيخ عبيد الله الاستعدادات للهجوم على إيران. لذلك فهم الشيخ السكوت العثماني عنه، في الهجوم على إيران، بأنّه إشارة إلى تأييد العثمانيين له. لذلك ينقل صالح أمين من إحدى رسائل الشيخ في هذا الصدد قوله: «إنّ الأمور تسير بخير، وصلنا مؤخراً أحمد بيك، مستشار السلطان للقيام ببعض المهام السرية في منطقتنا... وإذا لم يكن هناك نفاق وعدم اتفاق بين أهل كردستان ستنتهي الأمور حتماً بخير. كلّ الحكومات المعنية أعطت لنا الحق وعدّوا العجم هم المعتدين»[45]. وأنّ هذا الاعتماد على المنصرين الذين عدّهم الشيخ عبيد الله من حلفائه هو الذي حرمه من أكبر نصر عسكري في أورومية. إنّ تدخّل الدكتور كوجران والقنصل آبوت في حصار أورومية جاء بتخطيط مسبق مع الحكومة الإيرانية التي سبق أن أرسلت قوات لإنقاذ المدينة؛ يقرّ بهذه الحقيقة مستر سبير الذي كان في أورومية في أثناء الأحداث، يقول: «لو وقع الهجوم

(45) كوردو عه جم، م. س. ص174.

ولم يوافق الشيخ على طلبنا لتأخير الهجوم 24 ساعة لسقطت أورومية ووقعت أمور كنا نخاف تبعاتها»[46].

يعدّ تدخل القوى الأوروبية لصالح إيران والدولة العثمانية عاملاً أساسياً في انهيار حركة الشيخ عبيد الله، إنّ سياسة توازن القوى التي كانت تحفظ السلام في أوروبا (والعالم إلى حدّ ما) في القرن التاسع عشر هي التي قصمت ظهر حركة الشيخ عبيد الله، كما سببت من قبل انهيار معظم الحركات الكردية في القرن التاسع عشر. اقتضت هذه السياسة قيام بريطانيا بمنع روسيا القيصرية من التوسع جنوباً داخل الدولة العثمانية وإيران؛ لأنّ القضاء على الدولة العثمانية أو تفككها كانا يعنيان إعطاء روسيا فرصة للسيطرة على مضايق البسفور والدردنيل والخليج الفارسي.

وكان ذلك يعرض المصالح البريطانية في حوض البحر الأبيض المتوسط والهند إلى الخطر؛ لهذا السبب عدّت الحكومة البريطانية أنّ أيّة محاولة لتعكير جو العلاقات بين إيران والدولة العثمانية هي جزء من مخطط روسي لخلق الأجواء التي تمكّنها من استغلالها لمدّ نفوذها، داخل إيران والدولة العثمانية، على حساب المصالح البريطانية لذلك كانت بريطانيا حريصة على حفظ السلام بين إيران والدولة العثمانية. وكما كانت أيضا حَريصة على الحفاظ على وحدة أراضي هاتين الدولتين، وتنظر بعين الريب وعدم الارتياح إلى الحركات الكردية طوال القرن التاسع عشر، لأنّها كانت تعدّها عامل عدم استقرار[47].

إنّ هجوم قوات عبيد الله على كردستان إيران خلق أزمة عالمية. عدّت روسيا الهجوم جزءاً من تخطيط بريطاني ـ عثماني من أجل زعزعة الأوضاع داخل إيران، لأن الحكومة الإيرانية كانت آنذاك على صلة وثيقة بروسيا. أمّا بريطانيا فكانت تشك في كون الحركة من تخطيط عثماني للتملّص من الالتزامات التي فرضتها عليها القوى الأوروبية في اتفاقية برلين 1878، خاصة الفقرات المتعلقة بالإصلاحات الأرمنية؛ وكانت بريطانيا قلقة من قيام الروس

(46) The Foreign Doctor, pp. 83-84.

(47) Jwaideh, pt. 1, pp. 266-268.

باستغلال حركة عبيد الله، لزيادة نفوذهم داخل إيران، وحتى الانضمام إلى إيران في صدّ الهجوم الكردي، واستغلال الروس الفوضى في المناطق الحدودية لضمّ أراضٍ عثمانية جديدة في شرق الأناضول إلى ممتلكاتهم.

حاول ناصر الدين شاه إقناع الروس بأنّ الدولة العثمانية حرّضت الكرد للثورة لخلق أزمة في المنطقة، لحرمان الروس من المكاسب التي حققوها في الحرب العثمانية ـ الروسية الأخيرة ممثلة في اتفاقية برلين، ومن الجدير بالذكر أنّ تلك الاتفاقية أعطت روسيا حقّ الاحتفاظ بالأراضي العثمانية التي احتلتها في الشرق خاصة أرداهان، وقارص، وباطوم. فضلاً عن حقها في التدخل لصالح الأرمن والنسطوريين في كردستان. علماً أنّ الدولة العثمانية لم توافق على تلك الاتفاقية إلا بعد الضغط الكبير الذي مارسه جورج اغناتيف، السفير الروسي في استنبول، والمذكرة التي قدمتها الدول الأوروبية التي خيرت الدولة العثمانية المهزومة في الحرب بين التوقيع على اتفاقية برلين أو مواجهة حرب روسية جديدة عليها وحدها.

كانت معارضة الدولة العثمانية على اتفاقية برلين منبثقة من تجربتها التاريخية في الولايات العثمانية الأوروبية في البلقان حيث تدخلت الدول الأوروبية أولاً بحجة الإصلاحات، ثم قامت بدعم تلك الشعوب بالانفصال من الدولة العثمانية، ونشرت صحيفة «بيرخ» الروسية مقالاً مفصلاً عن حركة الشيخ عبيد الله، ادّعى فيها صاحب المقال أنّ إثارة الكرد في شرق الأناضول ضدّ إيران وروسيا هي سياسة عثمانية معروفة. إذ سبق أن وظف العثمانيون مسألة الألبان واستعملوها للحيلولة دون حصول مونتينغره على الاستقلال[48].

وهناك سبب آخر للمعارضة الروسية القوية لحركة الشيخ عبيد الله، وهو سبب يعود وفق تصور الأستاذ جويدة لاعتبارات الوضع الداخلي لروسيا القيصرية... يقول جويدة: «إنّ روسيا قد خرجت لتوّها من حرب ضد الشيخ شامل ومريديه؛ وكانت تلك الحرب مكلفة جداً لها، وعُدّت حركة الجهاد التي

(48) ميرزا عه زيز، م. س. ص33؛ «Kurdish Nationalist Movement», pt. 1 pp. 274.

أعلنها الشيخ عبيد الله إحياء من جديد لتراث الصوفية المجاهدة، والتي كانت روسيا تخاف من اندلاعها في قفقاسيا من جديد[49].

وأخيراً، كان الإيرانيون يروّجون شائعات مفادها أنّ الدولة العثمانية التي فقدت مملتكاتها في البلقان تحاول إثارة مسألة وحدة مسلمي السنة، وتخليصهم من الحكم الشيعي في إيران، والاستعمار الروسي في ولايات آسيا الوسطى وقفقاسيا، وتحاول إلحاق أذربيجان وكردستان من خلال حركة الشيخ عبيد الله، كخطوة أولى ضمن تلك السياسة.

كانت الحكومة البريطانية هي الأخرى قلقة من تبعات حركة الشيخ عبيد الله. ففي البداية كانت الحكومة البريطانية، وخاصة سفيرها في استنبول مستر كوشن، والقنصل آبوت في تبريز، تعتقد أنّ الحكومة العثمانية هي وراء انتفاضة الشيخ عبيد الله من أجل تفادي التزاماتها المنصوصة عليها في اتفاقية برلين. اعتمد المسؤولون الإنكليز في الدولة العثمانية على تقارير المصادر الأرمنية في هذا الموضوع. حيث كتب مسيو كريميان، وهو شخصية أرمينة مهمة في كردستان، تقريراً في حزيران عام 1880، أي قبل شهر من اجتماع رؤساء الكرد في نهري التي أعلنت ولادة جمعية رؤساء كردستان، ذكر فيه أنّ بعض الشخصيات الكردية وبتشجيع من الحكومة العثمانية سيشكلون قريباً جمعية كردية لإثارة المسألة الكردية حتى تضيع المسألة الأرمنية»[50].

ويضيف مسيو كريميان في تقريره:

«ليس هناك أدنى شك في أنّ الحكومة العثمانية هي وراء الجمعية الكردية لإثارة المسألة الكردية للقضاء على المسألة الأرمنية، إنّ هذه الجمعية هي انعكاس للسياسة العثمانية وامتداد لها، إنّ الشيخ عبيد الله يقودها اسماً؛ أما الرئيس الفعلي، فهو بحري بيك ابن الأمير بدرخان بيك المقرب من الحكومة العثمانية. علماً أنّ بحري بيك قد استخدم نفوذه والهدايا والمال حتى التهديد

(49) Kurdish Nationalist Movement, pt. 1. pp. 274-275.

(50) Enclosure in No. 6, Letter from Monseigneur Krimian to the Armenian Patriarch, Van June 20, 1880, Turkey, No. 5, (1881), pp. 6.

لترغيب الكرد ليس فقط في الدولة العثمانية، بل الكرد في إيران لدعم الجمعية[51].

وفي تقرير آخر كتبه مستر كوشن بعد شهر من كتابة التقرير الذي مرّ ذكره يقول فيه: «ليس هناك دليل قاطع على تورّط الدولة العثمانية في التمرد الكردي ولكن هناك دوائر سياسية في القصر لها يدٌ خفية في تحريك الأحداث في كردستان». ويؤكّد القنصل آبوت ما كتبه مستر كوشن إذ يكتب: «أنّ بعض الدوائر المحافظة في الحكومة العثمانية هي التي تدعم حركة الشيخ عبيد الله لإثارة التعصّب الإسلامي ضدّ الدول الأوروبية»[52].

أما ميجر تروتر، القنصل في أرضروم، فيقول: «إنّ الادعاء بتورط الكرد مع العثمانيين في حركة الشيخ عبيد الله ما هو إلا ادّعاء بنيَّ على التأييد الذي تحظى به حركة الشيخ عبيد الله في صحافة استنبول[53].

أمّا مستر ثومسون السفير البريطاني في طهران، فيقدم سبباً آخر للشكوك البريطانية، ويعتقد أنّ الحكومة قد لا توافق على الدعم الذي يقدمه بعض الضباط الصغار لحركة الشيخ سراً[54]. إنّ قيام الشيخ بإرسال رسائل إلى رؤساء الكرد والادعاء فيها بأنّه مدعوم من قبل السلطان كان عاملاً آخر ساعد على وجود قناعة عند بعضهم بكونه مدعوماً من الدولة العثمانية حقيقةً[55]. وقد كتب والي حكاري إلى الباب العالي قائلاً: إنّ الشيخ عبيد الله ينشر هنا بين الكرد ادعاء كونه مدعوماً من قبل السلطان نفسه «ولا يأتمر إلا بأمر السلطان»[56].

اتهمت كلّ من الحكومة البريطانية وإيران الحكومة العثمانية بالتواطؤ مع الشيخ عبيد الله، وذلك لعدم اتخاذ الحكومة الأخيرة إجراءات صارمة في هذا

---

(51) In No. 6, Letter from Monseigneur Krimian to the Armenian Patriarch, Van June 20, 1880, Turkey, No. 5, (1881), pp. 6-7.

(52) ميرزا عه زيز، م. س. ص 44-45.

(53) Jwaideh, pt. 1, pp. 241.

(54) ميرزا عه زيز، م. س. ص136-137.

(55) المرجع ذاته، م. س. ص134.

(56) Y. A. Res/1299 H Shawal 7 (August 21, 1882).

المضمار، أولاً: لعدم قيامها باتخاذ الإجراءات الكفيلة لمنع قوات عبيد الله من العبور إلى إيران. وثانياً لعدم اتخاذها الاحتياطات اللازمة لاعتقال عبيد الله حال عودته إلى حكاري. يقول الإيرانيون إنّهم طلبوا في العديد من المناسبات إلى الحكومة العثمانية بوضع قدر كاف من القوات في الحدود لمنع هروب عبيد الله وأنصاره الذين تلاحقهم القوات الإيرانية في تشرين الثاني عام 1880. علماً أنّه في آب عام 1880، أي قبل دخول قوات الشيخ عبيد الله إلى إيران بأيام، التقى مستر كوشن السلطان عبدالحميد وبيّن له أنّ معلوماته تفيد بأنّ الشيخ عبيد الله ينوي القيام بحركة مسلحة ضدّ إيران، وطلب إليه اتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع ذلك، ولكن دون جدوى[57]. ولكن الحكومة العثمانية نفت نفياً قاطعاً من جانبها تورطها في حركة الشيخ عبيد الله، وادّعت الحكومة في البداية بأنّه ليس للشيخ عبيد الله دورٌ في الانتفاضة الكردية، وأنّه ليس من الإنصاف إلزام الشيخ بجرم أبنائه وأحفاده. علماً أنّ الشيخ في بداية الانتفاضة أصدر بياناً قال فيه إنّ نواياه سلمية تجاه الحكومة وإنّه ليس له دور بما يقوم به أبناؤه[58]. ويبدو أنّ الحكومة العثمانية حاولت في البداية تبرئة ذمة الشيخ من دوره في الانتفاضة من باب رفع الحرج عن نفسها؛ لأنّ الشيخ كان من رعايا الدولة العثمانية. طلبت إيران والقوى الأوروبية، في العديد من المناسبات، من الحكومة العثمانية اتخاذ بعض الإجراءات ضدّ الشيخ عبيد الله ولكن دون جدوى.

ولكن في المراسلات الداخلية بين الباب العالي والسلطات المحلية في كردستان يصف المسؤولون العثمانيون الشيخ عبيد الله بـ «الشرير» و«الوغد»، و«ذي الأفكار النجسة». ويقولون إنّ حركته ذات تبعات خطرة على الدولة العثمانية. وأصدر الباب العالي بإيعاز من السلطان نداءات إلى الكرد بعدم تصديق الشيخ عبيد الله في زعمه بكونه مدعوماً من السلطان[59].

ولكن يمكن أن نلاحظ في تقرير كابتن كلايتن الصادر في 5 تشرين الأول

---

(57) ميرزا عه زيز، م. س. ص 6-7، 46-47.

(58) ميرزا عه زيز، م. س. ص 110-111.

(59) Res. Y. A 1297/11/9 848 Teleg. August 18, 1880: Teleg. 30 Aylul, 1296, (September 16, 1879).

1880 عن أحداث الانتفاضة أنّ السلطات العثمانية المحلية في حكاري لم تكن في موقف تستطيع فيه منع الكرد في كردستان ـ تركيا من الاشتراك في حركة الشيخ عبيد الله لسببين؛ أولاً: إنّ الشيخ كان يسيطر على أنحاء الولاية كافة في حكاري، قبل الأحداث سيطرة تامة. وثانياً: إنّ قوات الجيش والضبطية العثمانية في حكاري كانت في إضراب شامل؛ لأنّها لم تستلم رواتبها منذ فترة طويلة، وكانت ترفض إطاعة الأوامر. ومما زاد استياء الضبطية والجيش هو وجود غلاء فاحش ومجاعة في المنطقة[60].

يتبيّن من هذا العرض أنّ الاتهامات الموجهة إلى الحكومة العثمانية بصدد دورها في حركة الشيخ عبيد الله كانت اتهامات جدية، ليس من السهولة تجاهلها وأنّها كانت تشكّل معضلة غير يسيرة لفهم حقيقة الأحداث. وتعامل معها المسؤولون الإيرانيون والبريطانيون والروس المعاصرون للأحداث وكأنها حقيقة. ولكن القسم اليسير من الوثائق العثمانية التي اطلع عليها الكاتب في دار الوثائق العثمانية في استنبول لا تؤيد تلك الشكوك حول وجود تواطؤ بين الشيخ عبيد الله والدولة العثمانية.

وقد يجد باحثون آخرون وثائق أخرى في المستقبل تبيّن حقيقة العلاقة بين الشيخ والحكومة العثمانية؛ وأنّ هناك عدّة احتمالات لشرح موقف الحكومة في عدم اتخاذها موقفاً جدياً لمنع عبور القوات الكردية إلى الأراضي الإيرانية؛ أولاً: من المعقول جداً ألاّ يكون عند القوات المحلية في كردستان القدرة على منع ذلك، كما ادّعى أحد التقارير البريطانية والذي سبق ذكره؛ وكما أنّه من المعقول أيضاً أن تكون الحكومة العثمانية من البداية على علم بخطط الشيخ عبيد الله للقيام بهجوم على كردستان ـ إيران، ولكنها فضلت أن تتغاضى عنها، لأنّها كانت وسيلة للتخلص من ضغط الحكومات الأوروبية لتنفيذ بنود اتفاقية برلين، خاصة تلك البنود ذات العلاقة بالحقوق الأرمنية في كردستان ـ تركيا، وشعرت الحكومة العثمانية بالمرارة تجاه الحكومة البريطانية لعدم قيامها بدورها في الحفاظ على المصالح العثمانية في شرق الأناضول، كما اتفقتا عليها سراً

(60) ميرزا عه زيز، م. س. ص41.

في الاتفاقية السرية الموقعة بين الطرفين بعد اتفاقية برلين. والجدير بالذكر أنّ الدولة العثمانية قد أخذت تعهداً من بريطانيا بالضغط على روسيا بالانسحاب من آرداهان وقارص وباطوم في شرق الأناضول. ولا يستبعد أن يكون السلطان عبدالحميد قد اتفق سراً مع الشيخ عبيد الله للقيام بالهجوم على إيران وإلحاق كردستان ـ إيران السنية بالدولة العثمانية، من أجل اعتبارات تنفيذ فكرة الجامعة الإسلامية التي كان يؤمن بها السلطان عبدالحميد، أو من أجل منع الأرمن من بسط سيطرتهم على الكرد، حسب ما كانت تخطط له القوى الأوروبية.

ولكن مهما كان دور الدولة العثمانية الحقيقي في الأزمة، إلاّ أنّ إيران تعاملت معها بكل جدية وهدّدت بعبور الأراضي العثمانية، وإشعال حرب عثمانية ـ إيرانية جديدة، وهذا ما كانت تخافه بريطانيا كثيراً، لأنّ ذلك كان يضر بمصالحها في المنطقة. وقال مستر تومسون إنّ هذا الصراع له بعد عالمي وإنّ القوى الأوروبية لا تستطيع أن تقف موقف الحياد وعدم الاكتراث، لذلك فطيلة فترة الانتفاضة الكردية كان هناك خط ساخن للاتصالات بين بيترسبورغ (عاصمة روسيا القيصرية) ولندن لتفادي وقوع سوء فهم بين الدولتين الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى حرب بينهما. واستطاعت القوتان الأوروبيتان، أخيراً، بلورة موقف لاحتواء الصراع، وإجبار إيران والدولة العثمانية على حلّ الأزمة بطرق دبلوماسية وتعاون إقليمي ضدّ الكرد. فكانت إزالة الشيخ عبيد الله من المناطق الحدودية ونفيه إلى الحجاز ثمرة هذه الجهود[61].

أجبرت حركة الشيخ عبيد الله كلاّ من إيران والدولة العثمانية على الإقدام على مجموعة من المساومات الإقليمية، وإنّ وقوف روسيا الحازم والمؤيد لإيران بإعلان ذلك صراحة في أثناء الأزمة بأنها سترسل قوات للمشاركة مع الجيش الإيراني إذا اقتضت الحاجة، وإرسالها قوات إضافية إلى المناطق الحدودية لتكون في موقف تمكّنها من التدخل السريع، عزز من نفوذها عند الشاه. وأعلن الأخير عن تنازله عن بعض المسائل التي كانت مثار خلاف بين

(61) Jwaideh, pt. 1, pp. 280-283.

روسيا وإيران في آسيا الوسطى وقفقاسيا[62].

كما أقنع سفيرا بريطانيا في كلّ من طهران واستنبول الدولة العثمانية وإيران بتوقيع بروتوكول خاص لحلّ الأزمات والمشاكل الناجمة عن قيام القبائل الكردية بغزوات قبلية عبر الحدود. واتفقت الدولتان أيضاً على تفاهم لمنع رؤساء الكرد، من الطرفين، من الحصول على الحماية واللجوء السياسي. وشملت الصفقة توقيع إيران على بروتوكول للملاحة في نهر كارون الذي كانت بريطانيا تطالب به منذ فترة وتعطي العثمانيين امتياز استعمالها للتجارة[63]. واضطرت إيران إلى عدم الإصرار حول تنفيذ بند رقم 60 من بنود اتفاقية برلين الخاصة بإعادة منطقة قوتور من سيطرة الدولة العثمانية إلى إيران[64].

خلاصة البحث

تعدّ حركة الشيخ عبيد الله كباقي الحركات الكردية، ردّ فعل للمحاولات العثمانية باسم الإصلاحات بغية القضاء على الحكم المحلي الكردستاني، وكانت الحركة إلى حدٍ غير قليل أيضاً محاولة للدفاع عن المصالح الكردية في وجه فساد الإدارة العثمانية وازدياد النفوذ الغربي ومحاولة فرض الهيمنة الأرمنية على كردستان.

كما أنّ الحركة استفادت من تراث الطريقة النقشبندية في ربطها بين الدفاع عن الإسلام والمصالح الكردية، وهو ما نطلق عليه كوردايه تى (وليس الفكر القومي الكردي). ويُعَدّ الشيخ عبيد الله بحق رائداً للكوردايه تى، لأنّه وضع خلاص الكرد مع خلاص الإسلام في كفة واحدة. كانت محاولة الشيخ لتأسيس كردستان مستقلة، ومحاولاته المستمرة لكسب تأييد القوى الأوروبية وعلى أسس براغماتية، من ضمنها استعداده لتغيير ولائه من الحكومة العثمانية للحكومة البريطانية، يبيّن عمق إدراكه لموازين القوى العالمية وتأثيره في الساحة الكردستانية.

---

(62) صالح ئه مين، م. س. ص 188، ميرزا غه زيز، م. س. ص31.

(63) FO 60/446 No. 34 Tabreez, August 29, 1882, FO 60/447 memo by Mirza Muhsin Khan, dated 6 Th July 1881.

(64) صالح ئه مين، ص 191 .

كان للشيخ عبيد الله نظرة شمولية للكرد كشعب، ولم يتردد في تأكيد هذه الحقيقة (في طلبها لبناء دولة كردستان المستقلة والمتحدة) بخلاف معظم الأحزاب العلمانية التي لها نظرة تجزيئية والتي تسبغ الشرعية على الواقع المجزأ لكردستان. ويكمن سرّ قوة الشيخ عبيد الله في شخصيته الكارزماتية التي أدّت إلى التفاف الجماهير الكردية حوله، وبذلك أصحبت حركته بحق حركة جماهيرية وكردستانية. ولكن الشخصية الكارزماتية في الحركة الكردية في خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أصبحت أيضاً معولاً لهدمها: فحالما انتهى أو أُسر أو قُتل القائد انتهت الثورة معه. لذلك فإنّ الحركة الكردية بحاجة إلى مؤسسات جماهيرية (وليست نخبوية أو دكتاتورية) تستطيع أن تدير الصراع مع الأعداء بأسلوب ديمقراطي (شوروي). إنّ النهج الذي بدأ به الشيخ عبيد الله كان سابقة مهمة في الحركة الكردية، ومهد الطريق لظهور الشيخ عبدالسلام البارزاني والشيخ محمود الحفيد والشيخ سعيد بيران وقاضي محمد وملا مصطفى البارزاني.

■ ■ ■

obeikandl.com

FO/146

1882/12/7 Letter

«محاولة هروب الشيخ عبيد الله»

يسعدني أن أعلمكم عن نبأ محاولة هروب الشيخ عبيد الله، وأن القوات العثمانية أعادت اعتقاله من جديد، وقد تأكد عندنا أنّ الشيخ واثنين من أبنائه في طريقهم إلى الموصل في حراسة القوات العثمانية، وحتى أستطيع أن أعرف الحقيقة وسط الكثير من الغموض وتضارب الأنباء، قررت إرسال ميرزا جواد خان إلى حكاري، لتقصّي الحقائق والاتصال بموسى باشا القائد العسكري هناك.

إنّ تقرير ميرزا خان الذي تؤكده رسائل موسى باشا ومصطفى باشا (القائدين العسكريين العثمانيين في حكاري ـ المؤلف) يعطي لنا التفاصيل التالية:

بعد سلسلة من المماطلات والمحاولات المتعمدة لتأخير سفره إلى الموصل، أخيراً وافق الشيخ عبيد الله على مصاحبة كامل بيك، مبعوث السلطان الخاص إلى الشيخ، مع مجموعة من الجنود في السفر إلى الموصل. وحال وصولهم إلى شبتان؛ وهي منطقة مأهولة بالقبائل الكردية الموالية له، حاول الشيخ عبيد الله بحجة مرض زوجته وأعذار أخرى التوقف عن السفر، على أمل أن ينضم الكرد في المنطقة للثورة على الحكومة وإنقاذه من الأسر.

وحين تبيّن لكامل باشا أنّ الشيخ عازم على عدم مواصلة السفر إلى الموصل، هدّده باتخاذ إجراءات صارمة بحقه، وهذا ما دفع الشيخ إلى الطلب من رؤساء القبائل في المنطقة باعتقال كامل باشا وسليمان باشا. وفي هذه الأثناء حاول ابن حسن بيك (أحد أتباع الشيخ عبيد الله) في المنطقة قتل كامل باشا بضربه بالرمح الذي مزق معطفه، ونجا من المحاولة بأعجوبة، ولم يصب بأذى. وهكذا أصبح الضباط والجنود الترك البالغ عددهم مئة جندي أسرى لدى الشيخ، وقبل أن يسمع عبدالقادر ابن الشيخ عبيد الله بما حدث في شبتان، ويرسل قوة كردية لمساعدة والده، قام كامل بيك بإعطاء رشوة لاثنين من الكرد في شبتان، وأرسلهما إلى موسى باشا ومصطفى باشا يخبرهما بما حدث، ويطالب بإرسال قوة عسكرية فورا إلى المنطقة، وفي هذه الأثناء بدأ الشيخ عبيد الله يأخذ الاستعدادات لثورة كردية جديدة ويتصل بالقبائل من أجل هذا الغرض. ولكن القوات العثمانية وصلت على الفور إلى المنطقة وأبقت الحصار على شبتان والشيخ عبيد الله...

قامت القوات العثمانية بضرب شبتان بالمدافع وقتلت زهاء 200 من قوات الشيخ عبيد الله. وهذا ما دفع الشيخ عبيد الله إلى إرسال أحد أتباعه إلى خارج القلعة رافعاً الراية البيضاء، ومطالباً قبول عرض الشيخ بالاستسلام. وبعد فترة وجيزة تقدّم حسين باشا

ـ أحد ضباط الجيش ـ باتجاه القلعة وعند خروج الشيخ عبيد الله مطالباً الاستسلام؛ بصق حسين بيك في وجه الشيخ، وسحبه من رأسه بقوة، وطلب إليه أن يقف وسط مجموعة من الجنود لإهانته.

قام حسين باشا بإطلاق سراح كامل بيك، والتفت إلى الشيخ عبيد الله، وشتمه، قائلاً: «يزيدي» و«خنزير»، إلا أنّ الشيخ التفت إلى كامل بيك، وطلب إليه أن يساعده، فقال الأخير إنّه تحمل حتى الآن الكثير من اللوم لكرمه وحسن معاملته للشيخ. وقال للشيخ إنّ تصرفاته مخزية، ولم يكن عنده أدنى استعداد للعفو عنه، وشتم الشيخ قائلاً إنّه أسوأ من الخنزير. وجرى اعتقال محمد الصادق ابن الشيخ، وصادرت القوات العثمانية حمولة من 300 بغل عائدة للشيخ عبيد الله، كما جرى نهب ممتلكات أهل شبتان. واعتقل ابن حسين بيك الذي حاول قتل كامل بيك قبل فترة بالرمح. واعتقل وسجن ملا أحمد، أحد العلماء الذي كان يدرّس أبناء عبيد الله الشرع، والإمام في أحد المساجد في نهري. كما جرى ربط رجلي الشيخ عبيد الله ويديه، ووضع فوق حمار وأرسل بحراسة قوة عثمانية إلى الموصل، وجرى أيضاً اعتقال وهاب أحمد بدرخان، رئيس عشيرة كردية وجموع من اتباع الشيخ. ولما سمع الشيخ عبيدالقادر بما حصل لأبيه اضطر هو الآخر للاستسلام، وطلب إلى أنصاره التفرق، فاعتقل الأخير، وأرسل مع أبيه إلى الموصل. وهكذا عاد موسى ومصطفى باشا إلى وحداتهما العسكرية بعد أن أعطيت مهمة نقل الشيخ وأهل بيته إلى قوة عسكرية كافية لضمان وصولهم بأمان إلى الموصل.

والآن يكون الشاه في إيران سعيداً جداً بسماع الخبر، ويجب أن تعاد الأمور إلى مجاريها الطبيعية بين البلدين. وعليّ أن أذهب إلى تبريز لأقوم ببعض الواجبات هناك.

توقيع/ميرزا جواد خان

■ ■ ■

لقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبيد الله النهري

FO60/441

وزارة الخارجية، رقم الملف 60/441

رقم الوثيقة 23، سري للغاية

تبريز 1/10/1881

سيدي ايرل أوف كرانفل

سبق أن أشرت في المذكرة رقم 27 إلى موضوع الشيخ عبيد الله، حيث كان لي شرف المراسلة معكم في العام الماضي حول نفس الموضوع. بسبب وجوده حالياً في استنبول، وبكون موضعه يحظى حالياً بأهمية كبرى في الأوساط السياسية، أردت أن أكتب لكم هذا المحضر الوجيز للقاء الذي جرى بيني وبين الشيخ المذكور في العام الماضي، وسأتطرق فيه إلى النقاط المهمة التي دار الحديث حولها، مع مقدمة موجزة فيها وصف للشيخ عبيد الله وشخصيته، أرجو أن يكون جديراً باهتمامكم.

حين تركت أرومية في العام الماضي ماراً بالمنطقة الكردية عبّر ممثلو الشيخ عبيد الله الذين التقيت بهم، عن استعداد الشيخ لتوفير حماية خاصة لي أثناء مروري في المنطقة الحدودية، لذلك لم أر بدّاً من التوجه إلى معسكر الشيخ لاستلام قوة الحماية المخصصة لي. وكان أيضاً من الأدب واللياقة أن أزور الشيخ شخصياً في خيمته، وأشكره مقدماً على اهتمامه بسلامتي.

يبدو أنّ الشيخ كان يزمع تحويل هذه الزيارة إلى ساعة كاملة من الحوار السياسي، بيني وبينه. وأنا لم أكن مهيئاً لذلك.

ولكن حالما وصلت إلى خيمته أمر بخروج جميع من حوله وبقينا وحدنا في المخيم. أقر بأنني اندهشت كثيراً حين وقعت عيناي عليه، لأنه لم يكن ذلك الشخص الذي أراد الكتّاب الزرق أن يصوروه للناس. ورغم التعب ونوائب الدهر التي نزلت عليه والبادية على وجهه الوسيم، فان نعومة ملامح وجهه والرقة التي تشع من عينيه الزرقاوين الثابتتين تجعلان المرء، وإن لم يكن ذا حس مرهف، أن يبهر بشخصيته الجذابة.

إنّ الإرهاق وآثار المرض الظاهرة على بدنه النحيف لم يستطيعا أن يثنياه عن عزيمته، وهذا يدل على قوة شخصية هذا الشيخ الذي شاهد الكثير، وأصبح له شأن كبير في كردستان، ولكن فمه، خاصة فكّه الأسفل الكبير يوحي أحياناً بالرهبة مقارناً بعينيه الموحيتين بالرأفة والحنان. كان الشيخ متوسط القامة؛ والناظر إلى وجهه يتخيل أن ٱلشيخ لم يتجاوز الخامسة والأربعين، وربما كان عمره أكبر من ذلك بكثير. كانت لحيته الخفيفة مصبوغة بصبغ أسود. وإنّ الانطباع الـذي تركه فيّ الشيخ عبيد الله هو أنه كان رجلاً ذا إرادة وتصميم قويين وله قدرة فائقة على التأثير في الآخرين وتحريكهم من أجل أهدافه.

كان الشيخ يتقن الفارسية والتركية، ولكن آثار اللغة الأم الكردية ظاهرة في حديثة، كما كان له اطلاع واسع على اللغة العربية.

أخبرني الشيخ بأنه فرح كثيراً حين وصل أورومية، وعلم بوجود ممثل لجلالة ملك الحكومة البريطانية في المنطقة، أعتبر ذلك فرصة للتعبير عن مشاعره، والأهداف الكامنة وراء غزوه للأراضي الإيرانية، والتي كانت بدوافع نبيلة، حسب ما قاله الشيخ.

فأجبت قائلاً إنني سعيد بالتعرف إليه؛ لأنني سمعت الكثير عنه، ولم أتوقع أنني سأحظى باللقاء الشخصي به، فقد عبرت عن امتناني وتقديري لما أبداه لي من الكرم، خاصة قبوله وساطتي، نيابة عن المدنيين النصارى السريان القرويين الذين نهبهم أنصار الشيخ، وأيضاً قبوله بإعادة الأموال التي نهبت، ثم سألت الشيخ عن برنامجه فأجاب بأنه يريد إعادة تنظيم كردستان وتوحيدها تحت حكمه إمارةً مستقلة. وقلت متسائلاً، وكيف يفكر الشيخ في تنفيذ هذه الفكرة، وليس له حجة في ثورته ضد إيران أو تمرده على تركية؟ فعلق الشيخ قائلاً: «إن الحكومتين الإيرانية والعثمانية أساءتا معاملة الكرد». أما بالنسبة للحكومة العثمانية فإنها لم تقدّر حسن نواياه، وادعى الشيخ أيضاً أن كردستان تحتاج إلى إدارة تحكمها بقبضة حديدية، وليس هنالك شخص يفهم هذه الحقيقة أكثر منه. وهنا قلت للشيخ: إنه مقدم على مسألة في غاية الخطورة. وسألته فيما إذا كان ينوي تأسيس إمارة مستقلة عن الدولة العثمانية، أم أنه يهدف إلى مجرد جمع المناطق الكردية تحت إدارة واحدة من أجل القضاء على الفوضى، وإيجاد نوع من الأمن والاستقرار في المناطق، ويكون هو على رأس هذا النظام الإداري، ومسؤولاً أمام السلطان في ضمان حسن الإدارة وجمع الضرائب؟ فرد الشيخ على هذا السؤال قائلاً: إنّه ليس هناك من يشك في ولائه للسلطان، ولكنه كان لا ينظر إلى المسؤولين في إقليم كردستان بعين الرضى. وإنما هو على قناعة بأنه آن الأوان للقيام بعمل ما لصالح كردستان، فالشيخ يحب شعبه ويرى أن هناك حاجة ماسة في إصلاح أحوالهم. صحيح أنّ الكرد غير متعلمين ولا يحبون الانضباط، ولهم ميل إلى الفوضى، إلا أنّ الشيخ عبيد الله أراد إصلاح هذه الأمراض الاجتماعية، ليضع الشعب الكردي في مكانة تؤهله لحياة اجتماعية كريمة تليق بإنسانيته. ثم أضاف الشيخ قائلاً: يعامل الكرد في إيران معاملة مخزية، من الإعدام والقتل والاضطهاد والقسوة المتناهية، فضلاً عن كل ما يتصوره المرء من سوء المعاملة التي تعد من مميزات الحكم الإيراني في كردستان. ولم تقدم الحكومة الإيرانية على أية إجراءات لاستمالة العشائر الكردية، وإنها قد أثارت ضغينة الكرد إلى حد كبير.

رغم أنني أتفق مع الشيخ في آرائه في هذه المسائل، إلا أنني تريثت واضطررت إلى السكوت. ثم أضاف الشيخ أن منطقة هوجا الواقعة ضمن الحدود التركية، كانت في الماضي، معرضة إلى حملات سلب ونهب من قبل عشائر شكاك، والعشائر الكردية الأخرى في المنطقة الحدودية، ولم تقم الحكومة الإيرانية باتخاذ أي إجراء للحد من هذه

الحملات، وكذلك لم يسمح للشيخ بالقيام بعمل ما للدفاع عن العشائر المتضررة داخل الأراضي العثمانية. أضاف الشيخ أن عشائر الشكاك مصدر قلق في المنطقة؛ ليس للعشائر التابعة للشاه في سلماس فحسب، بل إنها قامت باعتداءات مماثلة ضد العشائر الأخرى في منطقة الباغ (حكاري ـ المؤلف)، فمثلاً قامت بالهجوم على الأرمن ضمن الأراضي العثمانية، وارتكبت جرائم لا يمكن وصف بشاعتها؛ إذ نشرت الخراب في أراضٍ شاسعة من المنطقة الحدودية، وإن الحكومة الإيرانية لم تقدم التعويضات المطلوبة للمتضررين. وادّعت حكومة الشاه أنها بعثت بحملة تأديبية ضد رئيس قبيلة الشكاك، ولكنها في الواقع لم تقم بأي شيء، حيث حصل المسؤولون الإيرانيون في أذربيجان على رشاوى كبيرة من الشكاك، وأعطوا الشاه تقريراً كاذباً مفاده أنهم عاقبوا رئيس الشكاك. ولكن في الواقع أنّ هؤلاء المسؤولين منحوا عباءة الشرف للشخص المذكور، ويعطي المسؤولون في المناطق الحدودية تقارير كاذبة عن استتباب الأمن في المنطقة.

لذلك ادعى الشيخ عبيد الله بأنه عبر الحدود إلى الأراضي الإيرانية من أجل إيقاف هذه المظالم، التي كانت تتعرض لها العشائر الكردية، القاطنة في المنطقة الحدودية. وادعى عبيد الله أيضاً بأنّ له الطاعة الكاملة للسلطان. وبعدها سألت الشيخ فيما إذا كان ينوي توسيع ثورته لتشمل كردستان التركية، وحذّرته من مغبّة هذا العمل ونصحته بإلحاح بالانسحاب من الأراضي الإيرانية، عبر طريق ميركور (ميركهوهو ـ المؤلف) والانسحاب إلى موطنه الأصلي. وردّ الشيخ قائلاً: إنّ كلمة واحدة من الحكومة البريطانية كافية بإقناعه لسحب جميع قواته من الأراضي الإيرانية. ولكنني ذكّرته بأنّ عملياته الحربية وضعتني في موقف لا أستطيع التوسط بأي وسيلة مع حكومة جلالة ملك بريطانيا، أو حتى مع ممثل حكومتي في طهران. وبيّنت له أيضاً أنه ليس لي الصلاحية لترتيب وقف إطلاق النار بينه وبين الحكومة الإيرانية، وبصفتي ممثلاً للحكومة البريطانية، في مقر إقامة ولي العهد الإيراني في أذربيجان، عبّرت عن بالغ قلقي واستيائي لغزو الشيخ للأراضي الإيرانية، وقلت له: إذا كان عنده فعلاً شكاوى ضد الحكومة الإيرانية والتركية فإنّ تصرفاته الحالية لن تكون لصالحه بأي حال من الأحوال. وذكرت أيضاً أنه إذا أصر على مواصلة هجومه باتجاه تبريز، فإنه سيلاقي مقاومة القوات الروسية هناك. من الجدير بالذكر أنّه كان هناك وقتئذ إشاعات بقيام الروس بوضع قواتهم على أهبة الاستعداد في المنطقة الحدودية قرب آراس (المنطقة الحدودية الإيرانية ـ الروسية).

وكان رد عبيد الله، هو أنه إذا قام الروس بالهجوم عليه فسيلقي بنفسه في أحضان الحكومة البريطانية. قلت له من الممكن أن يعتمد علينا في الدعم والتأييد، ولكنه يجب أن يعلم أنّ هناك علاقات وثيقة بين الحكومة البريطانية وإيران، وأن بريطانيا لن ترضى بأي حال من الأحوال أن تتعرض إيران ـ البلد الحليف لبريطانيا ـ لأي اعتداء من قبل أي طرف.

ثم انتقلنا إلى موضوع الأرمن، وعبّرت لعبيد الله عن قلقي البالغ عن مصير أرمينيا بالزوال، فيما إذا تمكن عبيد الله من تنفيذ برنامجه في المناطق الحدودية. فقلت له: ماذا سيفعل بالأرمن إذا تم له ما أراد في كردستان؟ وبينت له أن الحكومة البريطانية ترعى هذه الجالية، ولن تقبل ممارسة أي اضطهاد ضدهم، وأن إبادتهم أمر غير مقبول بتاتاً. فرد الشيخ على الفور، بأنه إذا أصبح مسؤولاً في كردستان سيقدم الضمانات الكفيلة على حسن معاملته للأرمن، وإنه لن يكون هناك أي عائق في وجه من يريد من الأرمن الهجرة إلى أماكن أخرى.

اعتبرت هذا الرد غامضاً، لذلك آثرت عدم التعليق عليه، ثم ترجى مني الشيخ وبإلحاح أن أضع مطالبه بين يدي الحكومة البريطانية، وأكد أنه في أمسّ الحاجة إلى الحصول على الدعم المعنوي البريطاني لمشروعه الخاص لتوحيد كردستان.

قلت لا مانع لدي من إيصال ما جرى من حديث بيننا إلى الحكومة البريطانية وفي الوقت المناسب. ولكن يجب ألاّ يدع نفسه ليصبح فريسة أحلامه غير الواقعية وذكّرته بأنّ أحلامه السياسية أبعد بكثير مما يتصوره عن الواقع، حتى ولو وافقت بإيصال مطالبه إلى حكومة جلالة الملك في بريطانيا.

وحينما وصل الحديث بيننا إلى هذه النقطة اعتقدت أنه من المناسب أن أخبر الشيخ، وبلغة صريحة، عن حقيقة موقفي من برنامجه بالكلمات التالية: «أن برنامجكم الذي عرضتموه لي حتى الآن ينتابه بعض الغموض، ولن أستطيع أن أكوّن منه صورة إيجابية لعرضها على الحكومة البريطانية، لأن حكومتي لن تدعم أي مشروع يضر بمصالح حليفتها إيران. وكذلك إنها لن تقدم الدعم المعنوي لأية خطة إذا كان تحقيقها سيضر بمصالح الطائفة النصرانية في المنطقة. وكما أنّنا لا نريد تحقيق المصالح الأرمنية على حساب المصالح الكردية، كذلك فإننا لا نريد تحقيق المصالح الكردية على حساب المصالح الأرمنية... وقلت: إنني شخصياً لن أنسى كرمكم تجاهي، ولكن أحب أن أنصحكم بما يلي:

- أعطِ أدلةً قاطعة على مدى طاعتك والتزامك بأوامر السلطان.
- اسحب قواتك من الأراضي الإيرانية.
- عد إلى موطنك الأصلي في تركية.
- وإذا كنت تعتقد أنّ عندك شكاوي معقولة ضد حكومتك، فقدمها إلى السلطان، وأخبرِ الأخير بخططك أولا، ولا تتوقع، في أي حال من الأحوال، دعم الحكومة البريطانية في توحيد كردستان.
- إسع لدعم الحقوق المدنية والدينية للمسلمين والنصارى على السواء.
- انشر روح النظام والانضباط بين الكرد.

وقلت له أيضاً نحن نهتم بمصالح الكرد بدرجة لا تقل عن اهتمامنا بمصالح الأرمن، تلك هي أهداف حكومة جلالة الملك، التي كان لي شرف العمل لها في هذه المنطقة... ستكون حكومتي سعيدة إذا قمتم بالعمل بموجبها، واستطعت أن تقدم البراهين المقنعة، بأنكم ستعملون على تحقيق أهداف السياسية البريطانية في المنطقة، وبكل إخلاص. وقبل أن أنهي هذه المذكرة اسمح لي أن أنقل إليكم قبل كل شيء اعتذاري لإشغالكم بهذه المسألة، وثانياً لما ورد فيها من المعلومات والعبارات التي قد لا تليق بورودها في المذكرات السياسية، ولكنني رأيت من الضرورة إعطاء وصف لعبيد الله، وذلك لتمكينكم من فهم شخصيته بطريقة جيدة.

حتى الآن لم يحظ أي ممثل من ممثلي حكومة جلالة الملك بالفرصة المناسبة من أجل تكوين تقييم موضوعي لأهداف الشيخ عن كثب، وهو الآن يبدو أنه من الشخصيات البارزة في العاصمة العثمانية، وإن ثورته في كردستان لم تكن بالأمر الهين، ومن المحتمل أن يقوم بدور ما في السياسة الشرقية للدولة العثمانية. مرت سنة على أول لقاء بيننا في خيمته، ففي الماضي كان لي الكثير من المهام التي حالت دون قيامي بترتيب ملاحظاتي وتدوينها، ولكن أخيراً ضغطت على نفسي للبحث عنها، لإعادة صياغتها وكتابتها على شكل مذكرة لسيادتكم، وذلك في ضوء إشارة سيادتكم إلى الموضوع.

لا يخفى علينا اهتمامكم البالغ بمصالح الأرمن، وكما أن العمل من اجل ضمان التعايش السلمي بين الكرد والأرمن الذين يعيشون في المنطقة الكردية هي إحدى أولويات السياسة البريطانية في هذه المنطقة، لذلك أرى أنه حان وقت كتابة هذه المذكرة، على أمل أن تفيدكم في المساهمة في تحقيق هذا الهدف السلمي.

لا أستطيع أن أحكم على مدى صدق أقوال الشيخ عبيد الله، وستشهد الأيام القادمة أثناء إقامته في استنبول على مدى إخلاصه للسلطان. فإن ذلك لا يقلل من ثقله السياسي والديني في كردستان. واعتقد أنه من الأجدر، لحكومة السلطان، أن تمارس دورها من خلال مراقبتها لتصرفاته، والتأكد من نواياه المستقبلية، بدلاً من معاملته بالقسوة. لقد جرى الآن إبعاده عن المنطقة الحدودية، ومن الأحسن عدم السماح له بالتأثير في الكرد، بحيث يؤدي من جديد إلى زعزعة الأمن والاستقرار في تلك المنطقة.

كان من الممكن أن تقوم الحكومة العثمانية بالحد من نشاطه في البداية، ولكنها اختارت على ألاّ تفعل ذلك آنذاك، أما الآن فمن الصعب أن يستوعب المرء على أي مبدأ من مبادئ العدالة التي يمكّن السلطان من معاقبته. وفي الختام أمل أن ينال ما قمت به وما كتبته هنا رضى حكومة جلالة الملك.

المخلص وخادمكم المطيع
وليم. ا.آبوت
القنصل البريطاني في تبريز

وثائق عثمانية

Y.A.Res

1298-5-18/H.1064

صورة مذكرة الوكالة

البرقية التي عرضت على مقام حضرة مولانا السلطان، المتضمنة المشهودات والاستطلاعات الخاصة لسعادة أحمد راتب باشا، مرافق حضرة السلطان الموجود في الموصل عن الشيخ عبيد الله أفندي، المرسلة صورته. تقرر بعد اطلاع مجلس الوكلاء المخصوص اتخاذ التدابير والمعاملات اللازمة، وعرضها بمحضر بموجب المذكرة العليا الخاصة إلى العتبة العليا، وبلفها البرقية المذكورة، وقد أعدت هذه المذكرة لبيان العزم على تنفيذ ما يصدر من الإدارة السنية في هذا الشأن.

18 جمادى الأولى سنة 1898م

و4 نيسان سنة 1897 (16 نيسان، 1881م)

سعيد

صورة مطابقة للأصل

■ ■ ■

صورة الهامش

محضر مجلس الوكلاء المرفق بهذه المذكرة السامية، المعروض على العتبة العليا، اطلع عليه المقام العالي. وعلى النحو المبيّن في المحضر، وافق المقام العالي على أنه إذا أجبر عبيدالله أفندي على المجيء إلى دار السعادة، ولجأ إلى الإيرانيين. تخوّل نظارة الخارجية ببحث الأمر مع سفارة إيران، للحيلولة دون حماية الإيرانيين له، واستخدامه ضدنا، وتبليغ مشيرية الجيش الهمايوني الرابع، وولاية وان، لنشر إعلانات باسم الحكومة السنية في الأماكن اللازمة، تكذيبا لما ينشره الشيخ سالف الذكر.

وصدرت الإدارة السنية بتبليغ المشيرية المذكورة، لبذل المساعي التي من شأنها منع الشيخ من اللجوء إلى الإيرانيين، وأعيد المحضر المذكور إلى مصدره.

20 جمادى الأولى سنة1898م، و8 نيسان سنة 1897م

صورة مطابقة للأصل

■ ■ ■

البرقية المقدمة من قبل أمير اللواء أحمد راتب باشا ياوران

حضرة مولانا السلطان الموجود حالياً في تلك الجهات بأمر همايوني حول ما أجرى من اتصالات، وقام به من استطلاعات بشأن دعوة الشيخ عبيد الله أفندي، جرى اطّلاع مجلسنا عليها مع المذكرة الخاصة بالإدارة السنية الصادرة في هذا الشأن. وتتلخص البرقية في أن الشيخ المذكور أعرب عن امتنانه بالدعوة السنية، لكنه أبلغ عن وجود بعض المحاذير في ذلك. وأنه مع ذلك مستعد للامتثال إلى هذا الأمر.

لكنه في الأصل لا ينوي السفر إلى دار السعادة، بل يناور في ذلك، كي يكسب الوقت للقيام بما ينوي القيام به، ويعزو استعداداته واعتداءاته إلى رأي الدولة العليا وتعليماتها. ولذلك فإنه يخشى من شيوع خبر تلك الدعوة السنية للقدوم، ويتبين لدى الناس أن تصرفاته وما يعلنه أمر مخالف للرضا العالي، فتنصرف بعض العشائر عنه، وأنه يصيبه اليأس والفتور نتيجة ذلك، ونظراً لأن مغادرته كردستان لن تكون لصالحه، فإنه إذا أعطى الأمان من طريق الاتصال بالإيرانيين، فقد يكون هناك احتمال أن يلجأ إلى إيران. ولذلك فإنه ينبغي ضمان عدم تحقيق ذلك بصورة رسمية.

وقد درس المجلس المخصوص ما يمكن عمله بصورة مستفيضة، ويري المجلس أن الروس إلى جانب الإيرانيين مستاءون من تصرفاته وحركاته، وقد أعربوا بصورة رسمية أنهم إذا لم تقم الدولة العليا باتخاذ التدابير المناسبة سيضطرون لملاحقته، ونظراً إلى أن الشيخ نفسه كان منخدعاً بوسيلة من الوسائل، فإنّ إبعاده من هناك بطريقة مناسبة، ووضع حد لمثل تلك الشكاوى أمر واجب، والدعوة السنية تهدف إلى ذلك أساساً بناءً على قرار مجلسنا في هذا الشأن.

ولكن نظراً لتأكد عدم سفر الشيخ إلى دار السعادة برضاه، وأنه إذا أجبر على السفر فقد يلجأ إلى الإيرانيين، وفي هذه الحالة قد يستخدمه الإيرانيون ضدنا، كما أنّ الشكوى التي كنا نسمعها من الإيرانيين ستنتقل إلينا، وبناءً عليه، فإنه من اللازم والضروري القيام في أول الأمر ببحث الموضوع مع الإيرانيين، لأنّ السعي إلى إبعاد الشيخ عن هناك كان على إثر الشكوى الحاصلة ضده من الإيرانيين، وأنه في حالة إجباره على القدوم و أراد اللجوء إليهم، فعليهم تقديم ضمان رسمي بألاّ يقبلوه عندهم، وإذا لم يعط الإيرانيون الضمان، فعليهم أن يكفوا عن الشكوى.

وحتى في حالة تقديم الإيرانيين مثل هذا الضمان، فسيصبح إبعاد الشيخ عن هناك أمراً ضرورياً، ويكون إجراء اللازم في ضوء جواب الإيرانيين. ونظراً لأنّ الشيخ المشار إليه يدّعي بأنه يقوم بمثل هذه التصرفات برضا الدولة العليا، كي يخدع العشائر التي تلتف حوله، وأنّ الذين يسمعون أنّ تصرفاته هذه لا توافق رضا ولي الأمر يتخلون عنه، كما أن مشيرية الجيش الهمايوني الرابع، وولاية وان، كذّبتا النشرات المذكورة على إثر البرقية الموجهة إليهما بقرار من مجلسنا.

وعليه، يرى مجلسنا أنّ إعلان ذلك بهذه الصورة في كل مكان، سيوقع الخلاف والفرقة بينه وبين العشائر المخدوعة به. وفي حال موافقة المقام العالي يتعين تخويل نظارة الخارجية صلاحية بحث الأمر مع سفارة إيران وتبليغ المشيرية والولاية المشار إليهما لتوزيع إعلانات باسم الحكومة السنية في الأماكن اللازمة، تكذيباً لما ينشره الشيخ سالف الذكر. والأمر في الأحوال قاطبة لسيدنا ولي الأمر.

18 جمادى الأولى سنة98 و5 نيسان 97

(16 نيسان، 1881)

توقيعات

■ ■ ■

جرى طياً عرض مذكرة نظارة المالية البهية وتقديمها بشأن استيضاح ولاية حكاري عما يجب عمله حيال المعروض، الذي قدّمه عبد القادر أفندي ابن الشيخ عبيد الله ببيان أنّ هناك متراكمات عن الرواتب الشهرية البالغة أربعة آلاف وخمسمئة قرش، المخصصة مؤقتاً لوالده عن السنتين ست وتسعين وسبع وتسعين (ثمانمئة وألف)، ويطلب احتساب مبلغ مئة وثمانية آلاف قرش الذي لم يسّدد من المبالغ المطلوبة من بعض أقارب الشيخ المذكور، بصفة بدلات الأعشار ورسوم الأغنام عن تلك السنوات، وقدرها مئة واثنا عشر ألف قرش، كما يطلب احتساب المخصص الشهري له من الخزينة الجليلة مؤقتاً، مدة بقائه بدار السعادة بموجب الإدارة السلطانية في هذا الشأن، وقدره خمسة آلاف قرش المعطى له اعتباراً من شهر آذار عام ثمانية وتسعين. وحيث إنّ أربعة آلاف وخمسمئة قرش المذكور خصصت سابقاً بصفة مؤقتة تكون لاغية باعتبار بقاء الرجل هنا مؤخراً بصفة موقوف، وتخصيص راتب آخر طيلة بقائة هنا، وعليه، فلا مجال لاحتساب متراكمات سنتي ست وتسعين وسبع وتسعين (ثمانمئة وألف) بما هو مطلوب من أقاربه، فضلاً عن أنّ فراره يستوجب قطع راتبه المخصص هنا. وقد نظمت هذه المذكرة ببيان إحالة الموضوع إلى النظارة المشار إليها، كي تقوم باحتساب ما دفع حتى الآن، وقطع الباقي كلياً؛ ويتوقف ذلك على صدور الأمر الهمايوني في هذا الشأن.

7 شوال سنة 99 و9 أغسطس سنة 98

(21 آب، 1882)

سعيد باشا

■ ■ ■

جرى عرض البرقية الواردة من ولاية حكاري حول فرار الشيخ عبيد الله بدون إذن، وأنّ هناك حاجة إلى إصدار أمر عال لتوضيح ذلك، باسم حضرة مولانا السلطان. ويتبين من البرقية أن الشيخ السالف الذكر قام بنشر بعض الإعلانات لتغطية عودته فاراً، إنّ إشاعة خبر فراره خلافاً للرضا العالي يحد من خداعه للناس من حوله، ومحاولته جمعهم لتنفيذ مآربه. ونظراً لأنّ إصدار أمر عال وإرساله يضيع كثيراً من الوقت، فإن إرسال الأمر العالي برقيا يتوقف على الإرادة السنية لحضرة مولانا السلطان في هذا الشأن. وقد أعدت هذه المذكرة لبيان ذلك.

7 شوال سنة 99 و 9 أغسطس سنة 98

سعيد باشا

■ ■ ■

دائرة رئاسة الوزراء ـ غرفة البرقيات
حل البرقية المرسلة من ولاية وان

لاحقاً لما بيناه يوم أمس، من أننا نشرنا إعلانات بأن الشيخ عبيد الله يعلن بين الناس بأنّه لا يثق ولا يأتمر بأمر الصدر الأعظم، ولا بأمر الوزراء، بل يأتمر فقط بأمر حضرة مولانا السلطان، نريد أن نوضح أن إصدار أمر عالٍ بالإعلان عن فرار الشيخ دون إذن من حضرة مولانا السلطان، ومجيئه إلى هذه الجهة، وأنّ إجراءات ستتخذ بحقه باسم حضرة صاحب مقام الخلافة، منوط برأي النظارة العالية.

9 أغسطس سنة 98 (21 آب، 1882)

محمد حلمي

■ ■ ■

17/53 Y.A. Res

صاحب الدولة

من المعروف لدى دولتكم أنّه سبق أن عرض بتاريخ 7 شوال سنة 1899 الاستئذان بقطع ما سبق تخصيصه مؤقتاً للشيخ عبيدالله أفندي من راتب شهري قدره أربعة آلاف وخمسمئة قرش، وما خصّص مؤخراً مدة وجوده هنا وقدره خمسة آلاف قرش بعد احتساب ما دفع، حتى الآن، وذلك بسبب فراره.

وجاء في المذكرة التي وردت من نظارة الداخلية الجليلة مؤخراً، وعرض على المقام العالي لفاً، أنّه خلال قدوم ذوي المشار إليه إلى دار السعادة، في وقت سابق، صدرت إرادة سنية بإسكانهم في محل مناسب، وإعاشتهم وتأمين مصاريفهم، وبإشراف الموظف المعين جري صرف مئة وسبعة آلاف ومئة واثنين وعشرين ونصف قرشا، خلال الفترة من الرابع عشر من تموز عام سبعة وتسعين وحتى نهاية شهر شباط من العام الذي يليه لإيجار السكن، ورواتب العمال والخدم، والمأكولات والمفروشات، وسائر اللوازم، طلبت نظارة المالية احتساب ذلك من مخصصات الداخلية.

وعلى النحو المبين في الدفتر والسندات الموجودة التي دققتها وصدقتها شورى المالية، فإن أربعة وعشرين ألف قرش من المبلغ المذكور كان على شكل مجيدي ذهب، وواحدا وخمسين ألفا وخمسمائة وسبعة وثمانين قرشا وخمس بارات على شكل مجيدي فضة؛ وواحد وثلاثين ألفا وخمسمائة وخمسة وثلاثين وعشر بارات على شكل مسدس (أو سداسي)، استأذنت محاسبة النظارة لاحتسابه من مخصصات العطايا، نظراً لعدم كفاية يومية الضيوف في موازنة السنة المذكورة. وقد نظمت هذه المذكرة لبيان تنفيذ الحكم العالي، في حالة صدوره بإحالة الموضوع إلى النظارة المشار إليها، لإجراء اللازم على نحو ما أشعرت به.

6 ذي الحجة سنة 99 و7 تشرين الأول سنة 98
(19 تشرين الأول، 1882)
سعيد باشا

■ ■ ■

Y.A.Res/17/53

إلى مقام النظارة العالية

جاء في المذكرة التي وردت من نظارة الداخلية الجليلة مؤخراً، وعرض على المقام العالي لفا، أنّه خلال قدوم ذوي المشار إليه إلى دار السعادة في وقت سابق، صدرت إرادة سنية بإسكانهم في محل مناسب، وإعاشتهم وتأمين مصاريفهم، وبإشراف الموظف المعين جرى صرف مئة وسبعة آلاف ومائة واثنين وعشرين قرشاً ونصف خلال الفترة من الرابع عشر من تموز عام سبعة وتسعين، وحتى نهاية شهر شباط من العام الذي يليه، لإيجار السكن ورواتب العمال والخدم، والمأكولات والمفروشات، وسائر اللوازم، وطلبت نظارة المالية احتساب ذلك من مخصصات الداخلية.

وعلى النحو المبين في الدفتر والسندات الموجودة التي دققتها وصدقتها شورى المالية فإنّ أربعة وعشرين ألف قرش من المبلغ المذكور كان على شكل ذهب وواحداً وخمسين ألفاً وخمسمائة وسبعة وثمانين قرش وخمس بارات على شكل مجيدي فضة،

وواحد وثلاثين ألفا وخمسمائة وخمسة وثلاثين وعشر بارات على شكل مسدس (أو سداسي) استأذنت محاسبة النظارة في حاشيتها للمذكرة لاحتسابه من مخصصات العطايا، نظراً لعدم كفاية يومية الضيوف في موازنة السنة المذكورة. والأمر لحضرة من له الأمر.

21 ذي القعدة سنة 299 و21 أيلول سنة 298

(3 تشرين الأول، 1882)

محمود باشا

■ ■ ■

R.A.Res. 1297.11.9848

جرى لفاً عرض البرقية الواردة من المشيرية الجليلة للجيش الهمايوني الرابع، وتقديمها، حول ما أشعرت به قيادة حكاري ومتصرفيتها، عما يقوم به الشيخ عبيد الله أفندي من حركات واستعدادات للهجوم على الجانب الإيراني وكذلك أبلغته بالأمس (السفارة السّنية بطهران) ولاية وان حول طلب السلطات الإيرانية، بصفة رسمية، لمنع اعتداء الأكراد الذين هم من أتباع الشيخ، في طرفنا على الطرف الآخر، وتأديبهم والإجراءات المتخذة في هذا الشأن، ورأي المشيرية المذكورة. وعلى النحو الذي يبدو لمقامكم العالي من معناها أنّ هناك حاجة لتأمين المبالغ والمؤن وإرسالها إلى الأماكن التي يجري سوق العساكر إليها وجلبهم بهدف منع العشائر، من جهتنا، من المرور إلى جهة إيران، والمحافظة على أمن الحدود، بالإضافة إلى إعلان الحكم العرفي هناك إذا لزم الأمر. وقد جرى إبلاغ نظارة المالية الجليلة ما يتعلق بالنقود والمؤن.

ولمّا كان من المسلمّ به وجوب اتخاذ الحكومة السنية التدابير العاجلة كي لا تحدث أزمة في هذه الفترة على الحدود مع إيران، وكان على الشيخ المذكور تعديل حركاته على إثر نصائح ياوران (مستشار ـ المؤلف) حضرة مولانا السلطان الذي سيتوجه إلى هناك، لكن الأخبار تقول: إنّ رجالاً مسلحين من الأكراد والعشائر، من طرفنا، يتجمعون، وأنّ من الضروري أن تتخذ التدابير القوية لحفظ الأمن، إذا دخل رجال من العشائر الإيرانية على جهتنا؛ ونظراً لذلك فقد بينت البرقية طلب الإذن بإعلان الأحكام العرفية، إذا اقتضى الأمر. وقد نظمت هذه المذكرة لبيان تنفيذ ما قد يصدر من الإرادة السنية بالإذن، للمشيرية المذكورة، كي تعلن الأحكام العرفية لدى الحاجة، وسوق العساكر إلى الأماكن اللازمة، للمحافظة على الأمن في الحدود، والحرص على منع ظهور أية اضطرابات.

9 ذي القعدة سنة97 و1 تشرين الأول سنة 96

(13 تشرين الأول، 1880)

سعيد باشا

Y.A.Res.1297.11.9-848

برقية 30 أيلول سنة 96
(12 تشرين الأول، 1880)
إلى المشيرية الجليلة لدائرة المابين الهمايوني

جاء في الرسالة الواردة إلينا، من قيادة حكاري، أنّ الشيخ عبيد الله أفندي جمع من كوار والأماكن المجاورة لها ومن العشائر في إيران، بالجانب الآخر، ما بين ثمانية وعشرة آلاف رجل وهاجم جهات صاوبولاق وأرومية على النحو الذي بينته في رسالتي السابقة.

كما أنِه يبعث برسائل، هنا وهناك، لجلب مزيد من المسلحين من الأكراد والعشائر ويجمعهم في الجانب الآخر من الحدود في أشتوب بجوار شمدينان، ويجلب المتخيرين والأغوات من جانبنا، كما أن عبيد الله آغا السيداني وعز الدين بيك المقيم في الباق يجمعان بعض الرجال للذهاب فوراً، كما أنّ خليفة سعيد أفندي جاء إلى هرواطية، وصار يجمع الرجال من هنا وهناك.

أضف إلى ذلك أنّ أهالي ناحية كويج التابعة لجوله مرك وسكان سواركان وماسرو التابعتين للباق، ظهرت عليهم علائم الاتحاد مع الشيخ، وسكان الأماكن الأخرى لا زالت تتشاور. وأنّ حركات الشيخ في الظاهر تدل على الهجوم على إيران وضرب شكاك علي خان الذي خرب العشائر بجهتنا، لكن هناك أقاويل بأن هدفه الأصلي هو التحكم بهذه الجهة، ونظراً لعدم وجود طريقة أخرى، فإن هناك حاجة لإرسال قوة عسكرية كافية.

إنّ الأفكار النجسة للشيخ، بداية ونهاية، تؤدي إلى كثير من الأحداث، وإذا كان نشاطه الحالي في جهات إيران فإنه بناء على تبليغ شاه إيران، وردت برقية من سفارة طهران إلى ولاية وان بتاريخ 19 أيلول سنة96 (1نيسان، 1880) قدمت صورة منها إلى نظارة الخارجية الجليلة، جاء في إحدى فقرها أنه إذ لم ترسل قوة عسكرية كافية من هذه الجهة للقيام بعملية تأديب سريعة ضد الكرد التابعين للشيخ، فقد أعطيت القوة العسكرية الإيرانية المتمركزة على طول الحدود إذناً، بملاحقة الشيخ المشار إليه وأعوانه وتأديبهم، وأن المصلحة ستلجئ العساكر الإيرانية أثناء مطاردتهم بعبور الحدود إلى هذه الجهة، وأن المسؤولية في هذه الحالة تقع على ولاية وان.

والبقية هي البرقية رقم2، 29 أيلول سنة 96
(11 نيسان، 1880)
سامح

■ ■ ■

رقم 2، عدد الكلمات 200

إلى مشيرية المابين الهمايوني

إلى رئاسة الوزراء

إلى نظارة الحربية الجليلة

نظراً لوجود الثائرين بجهة إيران، فإنّ تأديبهم والتنكيل بهم يقعان على عاتق الطرف الآخر. ومع أنّ التدابير الواجب اتخاذها من هذه الجهة تقتصر على منع عشائر جهتنا من الاتجاه إلى هناك، وحفظ الأمن من داخل حدودنا، فإن الحملة الكبيرة التي ستقوم بها إيران ستؤدي إلى هزيمة الثائرين، وفي هذه الحالة سيأتون إلى جهتنا إلى جهتنا.

ونظراً للنفوذ الكبير الذي يتمتع به الشيخ، فإنّ أية دعوة من قبله ستؤدي إلى تداعي العشائر الذين هم من جهتنا، مما يؤدي لا سمح الله إلى مشكلة كبيرة لدولتنا، وما يتطلب هو حشد قوة كافية لمنع ذلك، فضلاً عن الحيلولة دون استجابة الأهالي من طرفنا، لأفكار الشيخ تجاه الطرف الآخر، وذلك من طريق زيادة القوات العسكرية بجهات رواندوز وحكاري، وتلبية لهذه الحاجة، فقد جرى هذا اليوم سوق طابور مزود بقطعتي مدفع جبلي بقيادة الأمير آلاي علي شفيق بيك، كما توجه، على وجه السرعة، موسى باشا قائد الفرقة الثامنة بطابورين موجودين في موش، فضلاً عن طابور من العساكر السلطانية إلى هذه الجهة.

كما طلبنا طابورين من الجيش في المركز، كما طلب من المركز أن تكون كتيبة مشاة تابعة للفرقة السابعة مستعدة لجلبها فوراً، إذا تطلب الأمر ذلك، كما جرى التأكيد لقيادة شهرزور وجوب تمركز قوة كافية في راوندوز. وبفضل حضرة مولانا السلطان تتخذ كافة الإجراءات، لحفظ الأمن والنظام. وقد أبلغت نظارة المالية الجليلة بأنّ ما كانت مالية وأن ما تعطيه من النقود جعلها في وضع صعب، وأنها لن تقدر على إعطاء المؤن لعشر من هذه الأماكن، وفي حال تعذر ذلك سيزداد الأمر صعوبة، لذلك طلبنا العمل لتأمين المبالغ اللازمة، وجمع المؤن اللازمة من ولايتي وان وبتليس على وجه السرعة وإيصالها، والإذن بإعلان الأحكام العرفية بتعليمات مخصوصة، إذا اقتضى الأمر، في مواجهة كل الاحتمالات.

29 أيلول سنة 96 (11 نيسان، 1880)

سامح

■ ■ ■

Y.A.Res/2259

نظارة المالية ـ قلم الرسائل

جاء في الكتاب الوارد من ولاية حكاري البهية، إلى نظارة الداخلية المحوّلة إلى الخزينة الجليلة، تحت رقم مئتين، وتاريخ 24 آذار سنة 98 (5 نيسان، 1882)، أنّ الراتب الشهري المخصص مؤقتاً للشيخ عبيد الله أفندي شيخ زاوية الشيخ طه، الكائنة بناحية شمدينان، وقدره الإجمالي أربعة آلاف وخمسمائة قرش متراكمات محسوبة لعامي ستة وتسعين وسبعة وتسعين، وأنّ ابنه عبد القادر أفندي قدم معروضاً طلب احتساب مبلغ مئة وثمانية آلاف قرش الذي لم يسدد من المبالغ المطلوبة من بعض أقارب الشيخ المذكور بصفة بدلات الأعشار ورسوم الأغنام عن تلك السنوات، وقدرها مئة واثنا عشر ألف قرش. وأنّ الراتب المذكور له صفة مؤقتة، وله متراكمات عن السنتين المذكورتين، وبقايا الأعشار والأغنام، مبينة ومصدقة في القيود، وتطلب الولاية إبلاغها بما يجب عمله.

وقد بينا في هامش المذكرة المقدمة بتاريخ 17 كانون الأول عام 95 بأنّه لمّا كان السيد المذكور، وبعض رجاله، وذويه، يحصلون على المخصص الذي يزيد على خمسة آلاف قرش حتى ختام المسألة الحربية على أن يقوموا مقابل ذلك بالخدمات الحربية، وإنه نظراً لانتهاء المسألة الحربية يجب قطع هذا الراتب، كما جاء في جواب النظارة البهية المحرر يوم 11 كانون الثاني، الأمر بإعطاء الرواتب المذكورة فترة أخرى، كما جاء في التعليمات الواردة أخيراً من أنّه سبق أن خصص للسيد المذكور من الخزينة الجليلة مؤقتا خمسة آلاف قرش راتب طيلة بقائه بدار السعادة، وأنّ الراتب المذكور يعطى له اعتباراً من اليوم السادس من آذار عام 98، وهو تاريخ التعليمات، وأنّ إعطاء هذا الراتب له صفة مؤقتة أساساً، وأنّه استبان من الإشعار محلياً بأنّه جرى تسديده حتى نهاية خمسة وتسعين. فإذا لم يجْر تسديد شيء في عامي ستة وتسعين وسبعة وتسعين بعد، فلأنه لم يستند إلى أية إرادة في هذا الشأن، فإنّ تسوية الراتب المذكور على النحو المبين، تكون باحتسابه من بقايا الأعشار والأغنام عن السنتين المذكورتين، ويوافق إرادة النظارة العليا، أفادت بذلك دائرة المصاريف العمومية ودائرة شورى المالية، لعرضه على مقامكم العالي، كي يقوم ببيان ما يلزم إجراؤه من قبلنا. والأمر لحضرة ولي الأمر.

16 رمضان سنة299 و19 تموز سنة 98

(31 تموز، 1882)

منيـــر

■ ■ ■

جاء في تقرير سفارة إيران بيان أن الثورة والتمرد اللذين حدثا داخل الحدود الإيرانية؛ مبعثهما تحريض كلّ من الشيخ عبيد الله وحمزة آغا، وأنّه يتعين تأديب العشائر والأكراد المقيمين بجهتنا الذين يجتازون الحدود الإيرانية؛ كما أبلغ شاه إيران سفارتنا بطهران، شفوياً، مثل هذا الطلب. كما جرى التبليغ، أولاً وآخراً، لمن يلزم لحماية الحدود. أمّا فيما يتعلق بتأديب من يجتازون الحدود الإيرانية من أتباع السلطنة السنية فإنّ من العشائر الإيرانية من يقوم منذ وقت بعيد، بممارسة الظلم والتعدي على الأهالي الذين هم في جهتنا، وأنّه يتعين مجازاتهم، كذلك بموجب المعاملة بالمثل.

وإذا وجد من عشائر جهتنا من يوقع الخسائر من الطرف الآخر، فإنّه من المقرر والمصمم إرسال لجنة خاصة لإجراء التحقيق، واتخاذ التدابير التي من شأنها الحيلولة دون إيقاع مثل هذه الأحوال. كما أبلغت نظارة الخارجية سفارة إيران بقرار مجلسنا، لاتخاذ التدابير اللازمة، لمنع من هم بجهة إيران من إيقاع الأضرار والخسائر في أتباع الدولة العثمانية.

إن تزايد الأهمية الطبيعية لحدود الدولة العلية ـ نتيجة التغييرات التي حدثت بسبب الحرب السابقة، فضلاً عن كون منطقتي وان وحكاري مجمعاً للأكراد والعشائر، وكون أكثرية الأرمن بتلك الجهات ـ يجعل منع الشيخ المشار إليه وأمثاله من استخدام نفوذهم بين العشائر، بشكل لا يوافق أوضاع تلك المناطق، ولا مصالح ومنافع الدولة، وظهور المشاكل تبعاً لذلك من مسألة في غاية الأهمية.

كما أن سفير إيران عزا عدم دفع ورفع حركة التمرد والعصيان هذه إلى تحريض الشيخ المذكور. وأنّه ما لم يجْرِ إبعادهم عن الحدود فلن يكون هناك أي أمل بتأمين الاستقرار وضمان الأمن، وأنه إذا فقدت دولته التي يتبعها أمل التعاون من جانب الدولة العلية، فإنها ستضطر إلى البحث عن حل آخر، ملمّحا إلى إمكانية طلب المساعدة من الدولة الروسية. كما أن محتويات البرقية ـ الواردة من مشيرية الجيش الرابع الهمايوني إلى نظارة الحربية، ومن ولاية وان إلى الباب العالي ـ التي جرى عرضها وتقديمها طيا، بشأن حشد الروس لقواتهم في نخجوان والمناطق الحدودية أمر جدير بالانتباه.

وإنّ سوق الروس عساكرهم إلى الحدود الإيرانية لحماية الحدود في الظاهر ودعم الإيرانيين إذا اقتضى الأمر، يهدف حقيقةً إلى الإخلال بالعلاقات بين الدولة العلية وإيران، التي نحافظ عليها بصورة طبيعية، كما يهدف إلى إيقاع الضرر بمنافع الدولة هناك. ومن الواضح أن تكون لذلك محاذير كبيرة بالنسبة إلينا في الوقت الحاضر والمستقبل.

وقد حذر بعض سفراء الدول المحايدة ـ ومن قبيل النصح ـ من ذلك، وأكدوا ضرورة أن تتخذ الدولة العلية التدابير الممكنة، في أقصر وقت ممكن. والمسألة في

وضعها الحالي عبارة عن شكاوى الإيرانيين، ومن البديهي ألاّ يكون هناك شيء يقال قبل التحقيق في ذلك، فمن مقتضى المصلحة تشكيل لجنة تحقيق وإرسالها إلى هناك، والعمل بعد ذلك وفق مقتضى الحال. فضلاً عن أنه يجب إشعار الجانب الإيراني بأن الدولة العلية تنظر إلى هذا الموضوع بمزيد من الاهتمام، وبذلك تحول دون ميل الإيرانيين إلى روسيا، ويستدل على ذلك من قول السفير الإيراني في أثناء الحديث بأنه لم يرسل لجنة التحقيق بعد، ولذلك تأكد اختيار لجنة التحقيق هذه فوراً، وإرسالها كي يكون القول مدعوماً بالفعل.

كما أنّ حيدر أفندي ناظر البرق سابقاً، كان في منصب سفير طهران مرتين، فهو مطلع على أحوال تلك البلاد وعاداتها بصورة تامة، وله القدرة الفائقة على القيام بهذه المهمة. على أن يرفق بشخص آخر من قبل الدائرة الحربية، فيكون المشار إليه كوميسيرا (المنصب أقرب إلى السكرتير ـ المؤلف) أول، والكمالي أفندي الذي عين بالأمس متصرفاً للعمارة كوميسيرا ثانياً، وتكليفهما بالتحقيق فيما إذا كان هناك من يعتدي على الحدود الإيرانية، على النحو المعروض، والمسارعة إلى منعهم، وإجراء سائر التدابير والمعاملات اللازمة بعد تزويدهما بأوراق الشكوى، وإرسالهما على وجه السرعة. كما تقرر أن يخصص راتب شهري للمذكورين على النحو المخصص لمأموري التفتيش الأول والثاني، الذين يرسلون إلى جهات الأناضول. وتسديد رواتبهما مع بدلات السفر من بند المصروفات الطارئة، والأمر في الأحوال قاطبة لحضرة سيدنا ولي الأمر.

غزة صفر سنة 98 و21 كانون الأول سنة 96

(2 كانون الثاني، 1881)

أختام أعضاء مجلس الوكلاء

■ ■ ■

دائرة نظارة الحربية

نرفع طيا إلى مقامكم السامي صورة حل البرقية الواردة من دولة نافذ باشا مشير الجيش الهمايوني الرابع، الموجود بجهات وان، وتتضمن المعلومات المقدمة إليه من شهبندرية تبريز عن سوق دولة روسيا عساكر إلى نحجوان وإلى الحدود، وسبب ذلك ومقدار العساكر. والأمر لحضرة ولي الأمر.

24 محرم سنة 298 و15 كانون الأول سنة 296

(2 كانون الثاني، 1881)

■ ■ ■

صورة حل البرقية الواردة بتاريخ 14 كانون الأول سنة 96 (1 كانون الثاني 1881) إلى نظارة الحربية

من محمد نافذ باشا مشير الجيش الهمايوني الرابع الموجود في وان على أثر الاستخبار بسوق دولة روسيا قوات عسكرية كبيرة إلى نخجوان والحدود، سئل قنصل تلك الحدود المقيم في تبريز عن سبب إرسال تلك القوات، فورد منه الجواب بأنها لحماية الحدود. وجاء في رسالة شهبندرية تبريز بتاريخ 26 تشرين الثاني سنة 96 أنّه تبين من التحقيقات والمسموعات الأخيرة أنّ القوة المذكورة عبارة عن أربعة عشر طابوراً وبطاريتي مدفع. رجاء الاطلاع.

■ ■ ■

دائرة رئاسة الوزارة ـ غرفة البرقيات
حل البرقية المرسلة إلى مقام الصدارة السامية من ولاية وان

أبلغت شهبندرية تبريز في رسالتها بتاريخ 26 تشرين الثاني سنة96 أنّه تبين من التحقيقات والمسموعات الأخيرة أنّ القوة الكبيرة العسكرية التي استخبر عن سوق روسيا لها إلى نخجوان وإلى الحدود والتي أجاب قنصل روسيا في تبريز لدى السؤال عنها بأن هذه القوات هي لحماية الحدود وهي عبارة عن أربعة عشر طابوراً وبطاريتي مدفع.

14 كانون الأول سنة 96

(26 كانون الأول، 1880)

حسـن

■ ■ ■

نرفع المحضر الذي أعدّه مجلس الوكلاء مع مرفقاته، بشأن التحقيق والبحث في شكاوى دولة إيران، من أنّ ما يحدث من حركات وأعمال تمرد وعصيان ناتج عن تحريض الشيخ عبيد الله وأعوانه، كما تضمّن المحضر اقتراح بتعيين ناظر البرق السابق حيدر أفندي والكمالي أفندي متصرف العمارة بصفة كوميسير أول وكوميسير ثانٍ وإرسالهما إلى هناك، على أن يرافقهما رجل مناسب من الدائرة العسكرية لإجراء التحقيق، فيما إذا كان هناك من يتجاوز الحدود من طرفنا، ومنع هذا التجاوز إذا كان ذلك واقعاً، وبعض الأمور المتعلقة بذلك، وقد كتبنا هذه المذكرة لبيان تنفيذ ما سيصدر من الأمر، والإرادة السنية السلطانية حول هذا القرار.

غرة صفر 98 و21 كانون الأول سنة 96

(2 كانون الأول، 1881)

سعيـد

Y.A.Res 1297-12-7

H-2053

صورة مذكرة النظارة

لا يخفى على مقامكم العالي الأهمية الموقعية لجهات وان وحكاري، وأنّ هذه الأهمية تضاعفت بسبب الاضطرابات التي تحدث الآن في إيران. وكان من الضروري جداً الحرص على استمرار الأمن والاطمئنان في تلك الجهات، وخاصة عدم الإفساح في المجال لتجاوز الاضطرابات التي تقوم بها عشائر الأكراد في الممالك الإيرانية الحدود الخاقانية. ونظراً لعدم تناسب تدابير دولة سامح باشا مشير الجيش الهمايوني الرابع مع هذه الأهمية، فقد رأينا بعد بحث الأمر مع نظارة الحربية الجليلة أنّه من المناسب تعيين رئيس أركانه سعادة الفريق نافذ باشا مشيراً للجيش الهمايوني المذكور، معلقاً على موافقة المقام السامي. وقد أعدت هذه المذكرة، لبيان تنفيذ ما يصدر من الإرادة الجليلة في هذا الشأن.

7 ذي الحجة سنة97 و29 تشرين الأول سنة 96
(10 تشرين الثاني، 1880)
صورة مطابقة للأصل

■ ■ ■

Irade Dahilive

69691

صدرت الإرادة السنية السلطانية بالموافقة على ما عرضه سعادة كامل بيك من كتاب المابين الهمايوني الذي كان بمهمة خاصة في وان، بترقية حسين أفندي عضو مجلس إدارة ولاية وان إلى متمايز من الدرجة الثانية، وأحمد أفندي مدير شمانس السابق إلى الدرجة الثالثة، وتعيينه قائمقاماً على قضاء كوار، ومنح عثمان آغا يوزباشي ضبطية المشاة بولاية وان الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة، ونقله إلى قيادة وحدة الفرسان بكتيبة ضبطية وان، وذلك لمرافقتهم للشيخ عبيد الله أفندي أثناء نقله إلى الموصل، وحسن خدماتهم ووفائهم.

والأمر لحضرة ولي الأمر.
19 صفر سنة 300
و18 كانون الأول سنة 98
(30 كانون الأول، 1882)
علي الرضـا